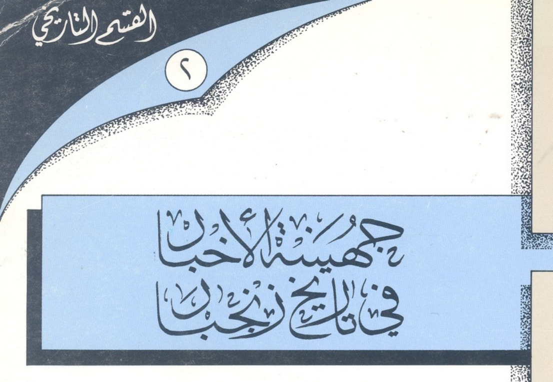


الموسوعة الميسرة للتراث العماني

جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار

تقديم علمي معاصر لخلاصة كتب التراث العماني

Bibliotheca Alexandrina
0173246

تأليف
الشيخ سعيد بن علي المغيري

القسم التاريخي

الجـــزء الثاني

جهينـــة الأخبـــار
فى تاريـــخ زنجبـــار

تـألـيــف

الشيخ سعيد بن على المغيرى

عرض ودراسة

الدكتور عبد الرحمن أحمد سالم

الإشراف العلمي

الدكتور / أحمد درويش

كلمة صاحب السمو

السيد

فيصل بن علي بن فيصل آل سعيد

وزير التراث القومي والثقافة

باسم الله وعلى بركته منه، تشرف وزارة التراث القومي والثقافة برعاية المرحلة الثانية من مراحل المشروع الحضاري الكبير الذي يهدف إلى إحياء التراث العماني.

لقد بدأت المرحلة الأولى مع فجر عصر النهضة المباركة التي أطلت على عمان منذ ربع قرن، ومن خلال هذه المرحلة خرجت مئات المؤلفات في علوم الفقه والتفسير والحديث والتاريخ والأدب، والطب والفلك وعلوم البحار وغيرها من فروع المعرفة الإنسانية، خرجت من صناديق المخطوطات العامة أو الخاصة، إلى أيدي القراء جميعاً، واحتفل بها العلماء في أرجاء العالم العربي والإسلامي وأفادوا منها في بحوثهم واستفادوا.

واليوم ومع هذه المرحلة الثانية، نطمح إلى أن تمتد الفائدة والاستيعاب إلى مستوى القارئ العام غير المتخصص، من خلال هذا العرض العلمي الذي قام به نخبة من العلماء المتخصصين، فأعادوا صياغة الأفكار التي احتوتها هذه المؤلفات بلغة عصرية مبسطة تحافظ على الجوهر وتجتاز بالقارئ المعاصر بعض عقبات التطور اللغوي وتخفف عنه بعض التفصيلات التي يهتم بها القارئ المتخصص.

ونحن إذ نتقدم بالشكر للعلماء الأجلاء الذين أسهموا في هذا العمل الجليل، نأمل أن تكون هذه المرحلة بداية لتفاعل القارئ العربي مع تراثه حتى لا يكون التراث مجرد ذكرى نعتز بها، وإنما يتحول إلى ضوء كاشف يتفاعل مع حاضرنا ويساعد على تنوير مستقبلنا.

والله من وراء القصد

فيصل بن علي بن فيصل آل سعيد
وزير التراث القومي والثقافة

الهيئة العلمية للموسوعة

الإشراف والتنسيق

الدكتور أحمد درويش

أستاذ البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

تحرير المادة العلمية

١ ـ د. محمد بلتاجي حسن : عميد كلية دار العلوم ، رئيس المركز الإسلامي لجامعة القاهرة.

٢ ـ د. حامد طاهر : وكيل كلية دار العلوم ، ورئيس قسم الفلسفة الاسلامية بالكلية.

٣ ـ د. حسن الشافعي : عضو مجمع اللغة العربية ، ونائب رئيس الجامعة الإسلامية بباكستان سابقا.

٤ ـ د. محمد سراج : رئيس قسم الشريعة بكلية الحقوق ـ جامعة الاسكندرية

٥ ـ د. علي عشري زايد : رئيس قسم البلاغة والنقد الأدبي بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة.

٦ ـ د. زين العابدين متولي : رئيس قسم الفلك ، بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة.

٧ ـ د. نبيل غنايم : رئيس قسم العلوم الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة.

٨ ـ د. منصـور محمد منصـور : رئيس قسم الشريعـة بكلية الحقـوق ـ جـامعة الزقازيق.

٩ ـ د. محمد الشهاوي : أستاذ الأرصاد الجوية بكلية العلوم ـ جامعة القاهرة.

١٠ ـ د. عبد الـرحيم حجازي : أستاذ جراحـة المسالك البوليـة بكلية الطب ـ جامعة القاهرة.

١١ ـ د. عبدالله جمال الديم : أستاذ التاريخ الـوسيط بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة.

١٢ ـ د. اسماعيل سالم : أستاذ العلوم الاسلامية بجامعة القاهرة.

١٣ ـ د. صلاح رزق : أستاذ تاريخ الأدب المساعد بجامعة القاهرة.

١٤ ـ د. عبد الحميد منصور : أستاذ الفقه الاسلامي المساعد بجامعة الزقازيق.

١٥ ـ د. عبد الرحمن سالم : أستاذ التاريخ المساعد بجامعة القاهرة.

١٦ ـ د. عبد الحميد الرفاعي : مدرس التاريخ بجامعة القاهرة.

١٧ ـ د. محمد المنسي : مدرس الفقه الاسلامي بكلية دار العلوم.

تمت مراجعة الكتاب من قبل لجنـة مراجعـة المخطـوطات

برئاسة سماحة الشيخ احمد بن حمد الخليلي

المفتي العام للسلطنة

نبذة عن حياة مؤلف كتاب
جهينة الأخبار

هو الشيخ سعيد بن علي بن جمعة بن سعيد بن علي بن مسعود المغيري، ولد بسلطنة عُمان في بلدة فلج المشايخ التابعة لولاية جعلان بني بو حسن وذلك سنة ١٣٠٠ هـ ، فنشأ بها وترعرع في رعاية جده العلامة جمعة بن سعيد المغيري[١].

فلما شب على الطوق وامتطى حصان الشباب أرسله جده لشرق أفريقيا، فنزل بالجزيرة الخضراء عند ابن عمه الشيخ محمد بن جمعة المغيري الساكن شكشك، فبقي عنده الى أو وافى ابن عمه الأجل المحتوم بعد سنتين من وصوله (١٣٢٥هـ).

فعند ذلك نظر الشيخ سعيد المغيري فيما حوله، فرأى البلاد جزيرة ذات مواني بحرية تجارية، والجزيرة خضراء قد توشحت بوشاح زراعة القرنفل والنارجيل، فرمى خلف ظهره الكسل، وشحذ سواعد الهمة منخرطا في كسب لعيش الحلال، مقاوماً في نفسه الاتكالية على الغير، فبزغ نجمه في الجزيرة الخضراء ـ بعد فترة ليست بطويلة ـ بين مزارعي شجرة القرنفل وتجارها، فغدا لسان حالهم، والناطق باسمهم، والناظر لمصالحهم لما عرف في هذا الرجل من الصلاح والحنكة السياسية، فكان سفير عامة الشعب لدى الحكومة وذلك لقربه من السلطة الحاكمة.

وفي عام ١٣٥١ هـ عينته الحكومة عضوا في المجلس التشريعي بزنجبار، فحظي باحترام أعضاء المجلس فكان لآرائه السديدة محل القبول من نفوسهم والتأييد المشترك لها، فقويت عزيمته فعارض بشدة مشروع اجتثاث ستين ألف قورة قرنفل بسبب موتها، فأيدته الحكومة على ذلك، وسعى الشيخ سعيد المغيري على فتح باب المتاجرة بين جزيرة بمبا وتنجانيقا بعد أن كان مسدوداً مدة أربعين عاماً، فكان لعمله ذلك الأثر الطيب في انتعاش التجارة.

---

(١) راجع مقدمة كتاب «جهينة الأخبار» ص ٢٤

وفي سنة ١٣٥٦ هـ حظي بمصاحبة السيد خليفة بن حارب البوسعيدي سلطان زنجبار الى أوروبا لحضور احتفال تتويج الملك جورج السادس ملك بريطانيا، فترقى به نجم السعد فمنح وسام الكوكب الدري من الدرجة الثانية، ومنحته بريطانيا أربعة أوسمة أخرى لدوره الاصلاحي ولأعماله الخيرية التي قام بها، من بناء المساجد والمدارس واطعامه للفقراء والصائمين في الجزيرة الخضراء وغيرها من نواحي شرق أفريقيا.

وبعد رجوع الشيخ سعيد المغيري من بريطانيا (١٣٥٧هـ) اتقدت همته بنشاط ليس عاديا عندما رأى مآثر أبائه العُمانيين في زنجبار وما حولها وهي تقرضها سنون الدهر، وتمحوها من عمق خارطة التاريخ أقلام المغرضين، فصادق اليراع الظمآن لينهل من معين ذاكرته الصافي أعذب قطرات العرفان عن زنجبار عبر العصور التاريخية، فسطرها الصديق الوفي بماء الذهب في هذا السفر (جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار) وبأصدق عبارة، فكان بحق نافذة الكنز الدفين التي يطل منها الباحثون على تاريخ زنجبار وشرق أفريقيا.

والمتتبع لهذا الكتاب يرى ببصيرة فكره مدى الجهد الذي بذله مؤلفه في تتبع الروايات، واستقصاء المعلومات، ليضع في متناول أيدينا كتاباً تشكره على انجازه الأجيال المتعاقبة على هذه البسيطة.

﴿ وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾(☆)

(☆) لمزيد من الفائدة عن شخصية المؤلف يرجع مقدمة كتاب «جهينة الأخبار» الطبعة الأولى إصدار وزارة التراث القومي والثقافة ـ سلطنة عُمان.

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ مقدمة حول الكتاب والكاتب :

لم يحظ تاريخ المسلمين في أفريقيا غير العربية، أو أفريقيا السوداء، بما يستحقه من اهتمام وعناية من الباحثين العرب مع أنه جزء من صميم التاريخ الإسلامي. إن الإسلام الذي انتشر في أرجاء القارة الأفريقية ووطد وجوده هناك بحاجة إلى من يشرح لنا كيف ومتى انتشر، وما إنجازاته في هذه البقاع، وما الصعوبات التي يواجهها، وما السبيل إلى التغلب عليها .. كل ذلك لأن تاريخ الإسلام في أفريقيا - كما ذكرنا - هو جزء من تاريخ الأمة الإسلامية ينبغي أن نلتفت إليه ونكشف غوامضه .

ولاشك أن الكتاب الذي نعرضه الآن - وهو كتاب (جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار) يمثل محاولة جديرة بالاعتبار لسد بعض الفراغ في جانب مهم من جوانب التاريخ الإسلامي في أفريقيا وذلك هو الدور الذي قام به العرب العمانيون في دعم الوجود العربي والإسلامي في شرق أفريقيا .

ولابد من أن نشير - بداية - إلى أن عنوان الكتاب قد يوحي إلى القارىء - للوهلة الأولى - أنه مخصص لتاريخ زنجبار التي تكوّن الآن مع تنجانيقا ما يُعرَف باسم «تنزانيا» . لكن الواقع أن الكتاب يَمثل تاريخاً للوجود العربي في شرق أفريقيا لا زنجبار فقط . أما لماذا خص المؤلف زنجبار بالذكر في العنوان فلأنها - على حد تعبيره - «العاصمة الملوكية لإفريقية الشرقية منذ عهد السلطان السيد سعيد بن سلطان بن الإمام أحمد ابن سعيد البوسعيدي»[1] ولأنها أيضاً كانت مركزاً مهما في عهد الاستعمار البرتغالي ثم في عهد دولة اليعاربة العمانيين في شرق أفريقيا .

ومؤلف الكتاب هو الشيخ سعيد بن علي بن جمعة بن سعيد بن علي بن مسعود المغيري، كان مولده بعُمان في سنة ١٣٠٠هـ (١٨٨٣م) في «فلج المشايخ» بناحية جعلان . وقد هاجر من عمان إلى الجزيرة الخضراء «بمبا» بشرق أفريقيا في سنة ١٣٢٣هـ (١٩٠٥م) وتعاظم جاهه ونفوذه هناك، وأصبح من كبار مزارعي القرنفل. وقد عينته حكومة زنجبار عضواً في

(١) جهينة الأخبار : ص٥٥ .

المجلس التشريعي بزنجبار سنة ١٣٥١هـ (١٩٣٢م) وكان خير ممثل لأهالي الجزيرة الخضراء من عرب وأفارقة: يدافع عن مصالحهم ويسعى في تحقيق مزيد من الخدمات لهم، وكان من رجال البر والإحسان؛ يبني المساجد والمدارس، ويطعم المحتاجين؛ كما كان على صلة حميمة بسلطان زنجبار السيد خليفة بن حارب، وحظي بمصاحبته في رحلته إلى إنجلترا في عام ١٣٥٤هـ (١٩٣٦م) لحضور حفل تتويج جورج السادس ملكاً على بريطانيا.

وقد بدأ المؤلف في تأليف كتابه في السابع من رمضان سنة ١٣٥٧هـ (١٩٣٨م) وهو مقيم بجزيرة «فوندة» من أعمال الجزيرة الخضراء بشرق أفريقيا، وانتهى بأحداث تاريخه إلى أوائل الستينيات[١] .

وسوف نقوم في الصفحات التالية بتقديم عرض لأهم محتويات الكتاب، ثم بتقديم بعض الملاحظات العامة حوله بما يسهم في تحديد قيمة الكتاب العلمية، وأخيراً نقدم بعض ملاحظاتنا على تحقيق الكتاب .

ـ أولاً : عرض لأهم محتويات الكتاب :

يقع هذا الكتاب في أربعة أبواب ، جاء الباب الأول منها في صورة مقدمة عامة تناول فيها المؤلف الهدف من تأليف كتابه، وأهم الدراسات التي سبقته في هذا الميدان، والمصادر الأساسية التي استقي منها مادته التاريخية، وتكلم أيضاً في المقدمة عن المراحل التاريخية الثلاث التي أدار حولها حديثه، وهي مرحلة التاريخ القديم و الوسيط والحديث .

أما الباب الثاني الذي يقع في خمسة فصول فقد اهتم فيه المؤلف بالحديث عن أهم البقاع في شرق أفريقيا كزنجبار والجزيرة الخضراء وكلوة وتانغة وأمبوني وممباسة ودار السلام وغيرها .

ثم يأتي الباب الثالث الذي يقع في اثني عشر فصلاً والذي يمكننا أن

(١) يشير المؤلف إلى تولي عبد الله بن خليفة بن حارب عرش زنجبار في أكتوبر سنة ١٩٦٠م وإلى ما حدث في أوائل عهده (في سنة ١٩٦١م) من فوضى وفتن بسبب ظهور الحزب المعروف باسم : «أفروشيرازي» انظر: جهينة الأخبار، ص٤٨٠ .

نعتبره لـب الكتـاب وصميمـه . وقد تحدث فيـه عـن الاستعمار البرتغـالي لشرق أفريقيا، ثم عن قيام دولة اليعـاربة العمانيين ، ثم ظهور قوة المزاريع ثم قيام دولة البـوسعيديين في زنجبار حيث تقصى أخبار أئمـة هذه الدولة إلى عهد السلطان عبد اللـه بن خليفة بن حارب الذي تـولى الحكم في سنة ١٩٦٠م.

أما الباب الـرابع والأخير - وهو يقع في أربعة فصول - فقـد تناول فيه عدة موضوعات يأتي على رأسها قيام الحرب العالمية الثانية وتطوراتها ومالها من انعكاسات على شرق أفريقيا ، وتحدث فيه أيضاً عن علاقة عرب عمان وزنجبار بجـزر القمر، وعن تجارة الـرقيق في شرق أفـريقيا ثم عـن التأثير الأوروبي في تطور الحياة الاجتماعية هناك.

ولما كان تناول المؤلـف لموضوعاته يتسـم بالتداخل في كثير مـن الأحيان فسيكون منهجنـا هنا أن نقـدم عرضا وافيـاً لأهم مـاجاء بهذا الكتـاب من قضـايا وأفكـار دون التقيد بحرفية ترتيب الأبواب والفصول .

ـ الهدف من تأليف كتاب : جهينة الأخبار :

يذكر المؤلف في مقدمة كتابه أن الهدف من تأليف هذا الكتاب هو الإلمام بتاريخ شرق أفريقيا والجزر المنفصلة عنها، وتقديم سير الملوك الذين سادوا في تلك المنطقة، سواء أكانوا عـرباً أم غير عرب. ولكن الحقيقة أن المؤلف يصرف جل اهتمامه للعرب العمانيين الذين مـارسوا النفوذ هناك أو كان لهم دور بارز في أنشطة الحياة المختلفة .

ـ أهم مصادر الكتاب :

سجل المؤلف حقيقة مؤسفة في مقدمة «جهينة الأخبار» وهي أن العرب - على الرغم من احتكاكهم الطويل بشرق أفريقيا وتاريخهم الحافل بالأمجاد فيها - لم يُعْنَوْا بكتابـة تاريخ تلك المنطقة ولا بتسجيل مآثـرهم فيها. وهنا تبرز الصعوبـة الحقيقية التـي يواجههـا المؤرخ العربي المسلـم حين يريـد أن يسجل تاريخاً أميناً لشرق أفريقيا والوجود العربي بها، فإنه لايكاد يجد أمامه مـن المصادر إلا مـا كتبـه الأوروبيون الـذيـن جـاسوا خـلال تلـك الديـار

معتمـدين على الاكتشـافـات العربيـة وعلى العون الـذي قـدمه لهم العـرب المقيمون هناك .

ومن هنا فقد اعتمد المؤلف في تـاريخه اعتماداً ملحوظاً على تلك المصادر الأوروبيـة وأهمها كتـابـات «ميجوربيـس» و «دافيـد لفنجستون» و«هنـري ستانلي» و«جون سبيك» و«ريتشارد بيرتون» .

ومـع ذلـك فـإن المؤلـف لم يعتمـد اعتماداً كـامـلاً على تلـك التـواريـخ الأوروبية، بـل استعان - فيما يتعلق بالتـاريخ الوسيط لشرق أفـريقيا - بما كتبه بعض المؤرخين العرب، وأبرزهـم المسعودي (ت : ٣٤٦هـ) في كتابه «مـروج الذهـب» وابن بطـوطة (ت: ٧٧٩هـ) في كتابـه «تحفة النظـار في غرائب الأمصـار وعجائب الأسفار»، والشريـف الإدريسي (ت: ٥٦٢هـ) في كتابه «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» .

فإذا جئنا إلى التاريخ الحديث لشرق أفـريقيا فإن روايات المؤلف تمثل في حد ذاتها مصدراً أصيلاً لأنها روايات شاهـد عيان عاصر الأحداث بنفسه، أو هي روايـات نقلها بـإسنادها عمـن عاصر تلـك الأحداث كما يـذكر في المقدمة[١] ، ومـن هنا تبرز الأهميـة البـالغـة لكتاب «جهينـة الأخبـار» فيما يتعلق بتـاريخ شرق أفـريقيا في العصر الحديث. وقـد كان ربـط المؤلف في عنوانـه بين ما في الكتاب من أخبـار وبين «جهينة» ربطاً دالاً، فعنـد جهينة الخبر اليقين !

ـ مراحل الكتاب التاريخية :

يشير المؤلف في مقدمتـه إلى أنه أدار حديثه حـول مراحل تاريخيـة ثلاث هي مـرحلة التاريـخ القديم والوسيـط والحديث. ومن الطبيعـي أن يكون حديثـه عن المرحلـة الأولى عابراً لأن هـذا ليس مرمـى الكتاب. والتـاريخ القديم - كما حـدده - يبدأ منذ نشأة الخليقة إلى ظهور الإسـلام. وقد كان لعلماء هذه الحقبـة جهودهـم في مجال الدراسات والاكتشـافات الجغـرافية،

---

(١) جهينة الأخبار، ص٥٨ .

وكـان المصريون القـدمـاء أول مـن وضع أسـاس علـم الجغـرافيا، ولكـن اليونانيين تـوسعوا في هذا المجال، وخاصة زمـن الإسكندر الأكبر المقدوني الذي كانـت له فتوحاته المشهـورة في آسيا وأفريقيا. وقـد أرسل الإسكندر حملات استكشافية للمحيط الهنـدي والخليـج . وتوســع الرومانيون، بعد اليونانيين، في هذا الجانب وشجعتهم على ذلك فتوحاتهم العديدة في أوروبا وأفريقيا وآسيا .

أما التاريـخ الوسيط، كما يعرض المؤلـف، فإنه يبدأ بظهـور الإسلام في القرن الســابع الميـلادي وينتهي بفتـح القسطنطينية على يـد الأتراك في سنـة ١٤٥٣م. فهـذه الحقبـة إذن تمثـل في معظمهـا عصر السيـادة العـربيـة الإسلاميـة، وهي الحقبة التي أصبـح العرب والمسلمون فيها قـادة العالم ، ليس على المستوى العسكري فحسب، بـل على المستوى الحضاري كذلك. وقد قدم المسلمون خلال تلـك الفترة كثيراً من الأعمال الجغرافية العظيمة، ومـن بينها أعمال المسعـودي والشريف الإدريسي وابـن الوردي وأبي الفـدا ويـاقوت الحمـوي وابن بطـوطـة وغيرهم. كما كـان للمسلمين إسهامـاتهم الـرائدة في مجال الرحـلات حيـث جـاب رحالـوهـم بـلاد العالم المعـروف حينذاك، وكـانت لهم في أفـريقيا جـولاتهم المشهورة. فقـد وصلوا إلى نهر النيجر والسنغـال وشواطيء شرق أفريقيـا وموزمبيق وغير ذلـك، فمهدوا بذلك السبيـل أمام الاكتشافات الجغرافيـة الكبرى في القرنين الخامس عشر والسادس عشر على يد البرتغاليين والإسبان .

ولكن الأمر الذي قد لايلتفت إليه الكثيرون - والذي نبه إليه المؤلف - أن العـرب العمانيين سبقـوا المكتشفين الأوروبيين في ارتيـاد مجاهـل القـارة الأفريقيـة، وقد أسسوا في أعماقها مـراكز سلطة كما سيشرح المؤلف بمـزيد من التفصيل بعد ذلك، ولكنهم - بكل أسف - لم يسجلوا اكتشافاتهم على خرائط ولم يدونوها تدويناً تاريخياً، وهو النقص الذي استكمله الأوروبيون بعد ذلك .

والجدير بالذكر هنا - كما يشير المؤلف - أن العلاقة بين العرب العمانيين

وشرق أفريقيا تضرب بجذورها في أعماق التاريخ ؛ فهي ترجع إلى القرن الأول للمسيح . وقد كانت هذه العلاقة في الأساس علاقة تبادل تجاري. ويذكر المؤرخون المحققون أن عرب عمان أنشأوا مراكز تجارية على امتداد ساحل شرق أفريقيا منذ ذلك الوقت المبكر .

أما التاريخ الحديث فإنه يبدأ منذ حوالي منتصف القرن الخامس عشر إلى عصرنا هذا. وهو الذي تميز في بدايته بالاكتشافات الجغرافية العظيمة التي قاد مرحلتها الأولى البرتغاليون ثم الإسبان . وقد ظهر الاستعمار الأوروبي خلال تلك الفترة وسيطر في إحدى مراحلها على معظم قارة أفريقيا بما في ذلك بالطبع شرق أفريقيا. وسوف يتناول المؤلف في سياق آخر تلك الحقبة بقدر كبير من التفصيل.

ـ نبذة عن أهم البقاع في شرق أفريقيا :

بعد هذه المقدمة التي تمثل الباب الأول من الكتاب – كما ذكرنا – يتحدث المؤلف في الباب الثاني عن أهم البقاع في شرق أفريقيا ، فهو يتحدث عن زنجبار والجزيرة الخضراء وكلوة وممباسة ودار السلام وغيرها . ولم يكن من المستغرب أن يبدأ المؤلف حديثه عن بلدان شرق أفريقيا بزنجبار والجزيرة الخضراء فهما أهم مناطق النفوذ العربي هناك .

ـ زنجبار :

وزنجبار كلمة فارسية مكونة من شقين : زنج، وبار. والكلمة الأخيرة تعني الساحل، فهي تحريف كلمة «بر» العربية، فزنجبار تعني ساحل الزنج أو بر الزنج. واسمها باللغة السواحيلية «أنغوجاء» . وهي تقع في المحيط الهندي وتبعد عن الساحل الأفريقي مسافة خمسة وعشرين ميلاً . واسم «زنجبار» يطلق على الجزيرة كلها وعلى المدينة الرئيسية بها.

وأكثر أراضي زنجبار حجرية، ولكن توجد بها بقاع خصبة معمورة ذات أشجار وارفة وحدائق غناء، وهي مليئة بالثمار والخيرات، وتنتشر بها أشجار القرنفل والنارجيل والبرتقال . ولهذا يذكر المؤلف أن زنجبار

جديرة بأن تُسمى «بستان إفريقية الشرقية» لخضرتها وجمال منظر أريافها(١).

ورغم أن العرب العمانيين قد بدأوا هجرتهم إلى زنجبار منذ القرن الأول لميلاد السيد المسيح فإن كثافة هذه الهجرة زادت بصورة ملحوظة في عهد السيد سعيد بن سلطان (١٨٠٤ - ١٨٥٦م). ومن مآثر السيد سعيد أنه هو الذي أدخل شجرة القرنفل إلى زنجبار والجزيرة الخضراء. وقد ارتبط بهذه الشجرة رخاء اقتصادي وازدهار عمراني. وينتمي أكثر العرب المهاجرين في تلك الفترة إلى جماعة الحرث بفروعها المختلفة، وهم إباضية، ولاشك أن الفضل في حركة العمران الهائلة التي شهدتها زنجبار في تلك الفترة يرجع إلى العرب العمانيين ؛ فقد زينوا زنجبار بالمساجد والقصور، وقد أسهم معهم بعض الإسهام في هذه النهضة العمرانية الحضارمة والهنود.

ويؤكد المؤلف أن زنجبار لم تحظ بما حظيت به من مكانة ولم تنعم بذلك التطور الهائل الذي جعل منها عاصمة شرق أفريقيا إلا بعد جلاء البرتغاليين عنها (أي في أواخر القرن السابع عشر الميلادي حين طردهم اليعاربة كما سوف نوضح). ولكن هجرة العرب العمانيين إليها بأعداد كبيرة في القرن التاسع عشر الميلادي خلال عهد السيد سعيد بن سلطان أضافت مجداً إلى مجدها وجعلتها تدخل عالم الصيت والشهرة .

- الجزيرة الخضراء :

أما الجزيرة الخضراء فهي التي تعرف باسم بمبا Pemba عند الأفريقيين وفي المراجع الأوروبية. وهي تقع على بعد ٣٢ ميلاً شمالي زنجبار. والجزيرة الخضراء - كما يشير اسمها - تتمتع بخضرة أراضيها وكثرة أمطارها وطيب هوائها، وهي ذات تلال تكسوها الخضرة وتزدان بالمناظر الطبيعية الخلابة والجو المشرق. وكانت الجزيرة الخضراء في عهد دولتي اليعاربة والمزاريع من أعمال ممباسة (مومباسا) ، فلما تغلب السيد سعيد بن سلطان على المزاريع جعل الجزيرة الخضراء خاضعة لزنجبار، وجعل من

(١) جهينة الأخبار ، ص٧٦ .

زنجبار عاصمة لجميع أملاكه في شرق أفريقيا. والمراكز الأساسية في الجزيرة الخضراء هي شكشك في الوسط وويتة في الشمال ومكواني في الجنوب. وكانت شكشك هي عاصمة الجزيرة الخضراء، ثم تحولت العاصمة إلى ويتة في عهد السلطان السيد خليفة بن حارب (١٩١١ - ١٩٦٠م) الذي كان معاصراً للمؤلف .

وقد اهتم العرب العمانيون في الجزيرة الخضراء - كشأنهم في زنجبار - بزراعة شجرة القرنفل. ويروي المؤلف أنه كان بالجزيرة الخضراء في عهده ثلاثة ملايين شجرة قرنفل.

ـ كلوة :

وعند الحديث عن«كلوة» يورد الشيخ سعيد المغيري نص كتاب صغير الحجم مجهول المؤلف، كُتب في القرن العاشر الهجري، عنوانه: «السلوة في أخبار كلوة». ويفيد هذا الكتاب أن أول من وصل إلى كلوة من المسلمين هم الشيرازيون القادمون من شيراز من بلاد فارس في أواسط القرن الثالث الهجري بقيادة حسن بن علي الشيرازي. وكلوة المقصودة بالحديث هنا هي «كلوة كسواني» وهي المدينة القديمة التي تقع على بعد ٢٢٠ ميلاً جنوبي دار السلام. ولم يكن هؤلاء الشيرازيون من الشيعة رغم أن المذهب الشيعي كانت له الغلبة في بلاد فارس. ويبدو أن الاضطهاد الذي كان يتعرض له غير الشيعة في فارس كان سبباً في نزوح هؤلاء الشيرازيين إلى كلوة. وكانت كلوة حتى وصول البرتغاليين إلى أفريقيا في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي عاصمة المستعمرات الإسلامية العربية والشيرازية في سواحل شرق أفريقيا . وقد تعاقب على كلوة منذ السيطرة الإسلامية عليها حكام شيرازيون وعرب . ويرجح الشيخ سعيد المغيري أن الشيرازيين أنفسهم كانوا يحكمون كلوة كسواني باسم العباسيين. وقد زار ابن بطوطة كلوة في القرن الثامن الهجري وسجل زيارته لها في رحلته المشهورة، وكان ذلك إبان ازدهار كلوة تحت الحكم الإسلامي. وأشار ابن بطوطة إلى حاكمها العربي السلطان أبي المواهب .

وهناك بلـدة مواجهة لبلـدة كلوة كسواني تعـرف باسم «كلـوة كفنجة». وهي أحدث عهداً في عمرانها من كلوة كسواني حيث عمرت في أوائل دولة البوسعيديين، كما أنها أوسع أرضاً وأصلح للزراعة، فكلوة كسواني جزيرة صغيرة يخترقها النظـر من أولها إلى آخرهـا ولايزيـد طولها على ثلاثـة أميال وأرضها حجـرية، ولكنهـا حافلة بـالآثار الإسلاميـة من حصـون وقصور ومساجد. أما آثار كلوة كفنجة فهي حديثـة ترجع إلى الدولة البوسعيدية. وقد زار المؤلف كلوة كسواني وكلوة كفنجـة وأعجب بآثارهما. وهو يحدثنا أنـه رأى قلعـة كبيرة في كلـوة كسواني تشبه في بنائها قـلاع عمان وقد نقش على بـابها «نصر من اللـه وفتح قـريـب» وتاريـخ هـذا النقش هـو الثالـث والعشرون من شهر المحرم سنة ٨٦١هـ .

ويستنتج المؤلـف مما رآه مـن آثار كلوة كسـواني أن العرب هـم أول من اتخذ هذه الجزيرة عاصمة. وآثار الشيرازيين في كلوة تعتبر آثاراً عربية، لأن الشيرازيين – كما سبق القول – كانوا يحكمون كلوة باسم العباسيين.

ـ ممباسة :

تستأثر ممباسة بكثير من اهتمام المؤلف؛ وهـي بلدة على ساحل كينيا تقع شمالي زنجبار. وقـد سيطر على ممبـاسة الأمـراء المليندـيـون (نسبة إلى بلـدة مليندي في كينيا، وسيأتي الحديث عنها). وكانـت ممباسة تعرف قديماً باسم «غنغوبـاء» وأحيانـاً باسم «أمفيـت». والمعروف أن البرتغـاليين هم الـذين أطلقـوا على ممبـاسـة هـذا الاسـم تخليـداً لاسـم أحـد قـادتهم. وقـد اتخذ البرتغاليون من ممباسة عاصمة لأملاكهم في شرق أفريقيا .

ـ دار السلام :

لم تحمـل دار السلام (عـاصمة تنـزانيـا الحالية) هـذا الاسم إلا في عهـد السلطان ماجـد بن سعيد البوسعيـدي (١٨٥٦ – ١٨٧٠م) الذي اختار لها اسماً ذا دلالات إسلامية خالصة. وقد كانت بلـدة «بواغا مويو» التي تبعد عن دار السلام ٤٥ ميلاً مركزاً مهماً للتجـارة العربية في شرق أفريقيا لقرب هذه البلدة مـن زنجبار، ولكن بواغا مـويو اضمحلت مع الـزمن وانتقلت

منها التجارة والعمران إلى دار السلام، فهجر العرب بواغامويو.

ـ **مراكز أخرى أقل شهرة :**

ولايُغفل المؤلف الحديث عن بعض المراكز الأخرى الأقل شهرة في شرق أفريقيا رَغم أهميتها النسبية ، ومن هذه المراكز «تانغة» إحدى المدن الساحلية التي كانت إحدى القواعد المهمة للعرب العمانيين. وقد دخلت تحت حكم اليعاربة والمزاريع ثم البوسعيديين. ويزعم السلاطين المحليون بتانغة الذين يستوطنون تلك المنطقة منذ قرون طويلة أنهم من العرب. ويطرح المؤلف احتمال انتمائهم إلى الجلنديين، وهم حكام عمان عند ظهور الإسلام .

ومن هذه المراكز أيضاً بلدة «بنغاني» الساحلية الحافلة بالمساجد الرائعة التي بناها العرب والمشهورة بمزارع جوز الهند والموز، وهي تصدر الموز إلى ممباسة وزنجبار ودار السلام .

وتبرز أيضاً في هذا السياق بلدة ملـــيندي في كينيا وهي التي سبقت الإشارة إليها. وتروي بعض المصـــادر أن المستكشف البرتغالي فاسكودي جاما Vasco de Gama هو الذي أطلق على مليندي هذا الاسم تخليداً لاسم زوجته مليندا. وكانت بلدة مليندي ذات شهرة واسعة في فترة النفوذ العربي وعلى الأخص إبان حكم أولاد الإمام أحمد بن سعيد ، وكانت تُسمى «عمان الصغيرة» لكثرة العرب العمانيين الذين استوطنوها للتجارة والزراعة. وهي تبعد عن ممباسة ٧٧ ميلاً إلى الشمال. ومن المحتمل – كما يرى المؤلف – أن البرتغاليين جعلوا من مليندي مراكزاً لأسطولهم البحري.

ومن المراكز الجديرة بالذكر أيضاً في شرق أفريقيا بلدة «غيدة» التي تقع في كينيا . وقد برزت أهميتها في عهد الاستعمار البرتغالي؛ فقد جعل البرتغاليون مركز حكومتهم في غيدة، في حين أن عاصمة أملاكهم في شرق أفريقيا – كما أسلفنا – كانت ممباسة. وتقع غيدة على بعد ١٢ ميلاً جنوبي مليندي. ولايستبعد المؤلف أن تكون غيدة قد سميت بهذا الاسم لأن

الذين عمروها كانوا من عرب الحجاز فأطلقوا عليها اسم «جدة» فحرفها السواحيليون إلى غيدة. ويأسف المؤلف لعدم وجود أخبار كافية لدينا عن غيدة وتاريخها وأمرائها والأجناس التي استوطنتها؛ وهو يعزو ذلك إلى عدم وجود المؤرخ الكفء الذي كان بوسعه أن يقدم تاريخاً وافياً عنها، أو لعل ذلك راجع إلى ضياع الكتابات التاريخية المتعلقة بها .

وهناك مركز مهم أيضاً يقع إلى شمال مليندي، وهو بلدة «أنغو ميني» الساحلية ذات الآثار العربية. وهناك أيضاً «بتة» التي تقع بين أنغوميني ومقديشيو، وقد كانت خاضعة لحكم سلاطين آل نبهان العمانيين، وثارت على البرتغاليين ثورة عاصفة في سنة ١٠٤١هـ بمعاونة ممباسة وحكامها المناذرة العمانيين .

ويستنتج المؤلف أن العرب العمانيين كان لهم وجود قوي في شرق أفريقيا منذ أوائل العهد الإسلامي ، والدليل على ذلك أنه لما أخضع الحجاج بن يوسف الثقفي عمان في صدر الخلافة الأموية - وكانت عندئذ تحت سيطرة سعيد وسليمان ابني الجُلَنْدى - فرّ هذان من عمان إلى بلاد الزنج، أي شرق أفريقيا، ويروي أن سعيداً وسليمان ماتا بزنجبار.

وبعد أن تنتهي جولة المؤلف حول العلاقة القديمة بين العرب وشرق أفريقيا، وحول أهم المدن والبقاع في تلك المنطقة الأفريقية يبدأ حديثه عن حقبة مهمة في تاريخ شرق أفريقيا وهي حقبة الاستعمار البرتغالي وما ارتبط به من ظهور قوة اليعاربة العمانيين .

ـ الاستعمار البرتغالي لشرق أفريقيا ونهايته على يد اليعاربة العمانيين :

كان ابتداء ظهور البرتغاليين على سواحل شرق أفريقيا في سنة ١٤٩٤م بقيادة المستكشف المشهور فاسكودي جاما. ومع ذلك لم يُخْضِع البرتغاليون سواحل شرق أفريقيا والجزر المحيطة بها إلا في القرن السادس عشر الميلادي حيث امتد سلطانهم في شرق أفريقيا حتى موزمبيق. وكانت ممباسة (في كينيا) هي عاصمة مستعمراتهم في أفريقية الشرقية .

وقد تفاوتت ردود الأفعال التي أثارها الاستعمار البرتغالي في شرق أفريقيا. وقد كانت الجزيرة الخضراء «بمبا» تمثل مركزاً من أهم مراكز المقاومة ضد البرتغاليين. ورغم أن حاكم زنجبار حسن بن فاطمة كانت له علاقات ودية مع البرتغاليين فإنه لم يقدر على التعبير عنها بصورة عملية خوفاً من شوكة العرب العمانيين هناك. والجدير بالذكر أن عام ١٦٣٧م شهد ثورة معظم الأمم الإسلامية بشرق أفريقيا على البرتغاليين، وقد اندلعت شرارة الثورة من ممباسة.

وقد هاجم البرتغاليون مدينة «بتة» سنة ١٠٤١هـ وفتحوها، فثار أهل ممباسة لما حل بإخوانهم أهل بتة، وكان في ممباسة عرب من قبيلة المناذرة العمانيين - كما سبق القول - فاتصلوا بالإمام سيف بن سلطان، الملقب بـ(قيد الأرض)، يستنجدون به فأنجدهم، وذلك بأن أرسل أسطوله لمحاربة البرتغاليين في سنة ١٠٥٨هـ (١٦٤٨م)، ودامت الحرب بينه وبين البرتغاليين سنتين. وأخيراً نجح جيش سيف بن سلطان في الاستيلاء على ممباسة (١٠٦٠هـ / ١٦٥٠م) ثم استرد كلوة، وأجلى البرتغاليين إلى أقصى مملكتهم في موزمبيق. ولكن البرتغاليين نجحوا - بعد مرور وقت طويل - في إعادة الاستيلاء على ممباسة، وذلك في سنة ١١٤٠هـ / ١٧٢٨م، حتى تمكن العرب من طردهم نهائياً في العام التالي (١١٤١هـ).

هذا هو ما ترويه التواريخ الأوروبية. أما الرواية التي حققها المؤلف فمؤداها أن الذي قاتل البرتغاليين وأجلاهم في المرة الأولى (أي من سنة ١٠٥٨هـ إلى سنة ١٠٦٠هـ / ١٦٤٨م - ١٦٥٠م) هو الإمام سلطان بن سيف اليعربي (وليس ابنه سيف)[١] فهذا الإمام هو الذي أجلاهم عن سواحل عمان والخليج وطاردهم بأسطوله إلى الهند وأفريقيا. وقد توفي سلطان بن سيف في سنة ١٠٩١هـ / ١٦٨٠م.

والملاحظ أن عام ١٠٦٠هـ / ١٦٥٠م شهد نمواً متزايداً في العلاقات بين عمان وزنجبار، وهو النمو الذي كلل أخيراً بأن أصبحت زنجبار «هي العاصمة الملوكية لعمان»[٢].

---

(١) جهينة الأخبار، ص١٩٢.

(٢) نفس المصدر: ص١٩٣.

وقد جهز الإمام سلطان بن سيف اليعربي في سنة ١٦٦٠م أسطولاً قوياً لمحاربة البرتغاليين استجابة لنداء أهالي ممباسة، واستطاع هذا الإمام أن يفتح ممباسة بعد حصار طويل. وقد كان فتح ممباسة بداية لزعزعة الوجود البرتغالي في شرق أفريقيا .

ولكن البرتغاليين نجحوا في إعادة السيطرة على ممباسة، بل نجحوا في السيطرة على مدينة مسقط عاصمة عمان وعلى أغلب السواحل العمانية. وقد استطاع سيف بن سلطان الملقب بـ (قيد الأرض) - وهو ابن الإمام سلطان بن سيف - أن يستعيد مسقط من البرتغاليين وأن يجليهم عن عمان وأن يطاردهم في البحر، كما استطاع أن يستعيد منهم بتة وممباسة وكلوة وزنجبار والجزيرة الخضراء، وأن يجليهم إلى حدود تانغة جنوباً .

ـ من هم اليعاربة العمانيون ؟

نظراً للدور الكبير الذي قام به اليعاربة العمانيون في دحر الاستعمار البرتغالي من شرق أفريقيا وفي التمكين للوجود العربي هناك، ونظراً لمآثرهم في عمان، يخصص لهم المؤلف جانباً من كتابه يتحدث فيه عن نشأة هذه الأسرة العريقة وتطورها وأمجادها التاريخية.

ـ والأئمة اليعاربة في عمان تسعة :

فأولهم ومؤسس أسرتهم هو الإمام الأرشد ناصر بن مرشد بن مالك بن أبي العرب. وقد تولى الإمامة بمدينة الرستاق في منطقة الحجر الغربي بعمان في سنة ١٠٢٤هـ / ١٦١٥م، وكان في العشرين من عمره، ومات في سنة ١٠٥٠هـ / ١٦٤٠م ، ولم يعقب إلا ابنة واحدة .

وثاني اليعاربة هو سلطان بن سيف بن مالك بن أبي العرب الذي تولى سنة ١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م، ومات -على أرجح الأقوال- في سنة ١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م.[١] وهو ابن عم الإمام الأرشد ناصر بن مرشد. وكان سلطان بن سيف إماماً عادلاً ومجاهداً في الله، حارب البرتغاليين وأجلاهم من مسقط ومن عمان كلها وتتبعهم إلى الهند وغنم منهم مغانم جزيلة[٢] ،

(١) هناك رواية تذكر أنه توفي في سنة ١٠٥٩هـ / ١٦٤٩م، وهي رواية ضعيفة.

(٢) نجح البرتغاليون في استرداد ما فتحه سلطان بن سيف، فتمكن سيف بن سلطان بعد ذلك من القضاء على نفوذ البرتغاليين كما سنبين .

وقد بنى قلعة «نزوى» بعمان من هذه المغانم، كما حارب البرتغاليين بنجاح في شرق أفريقيا .

وثالث الأئمة من اليعاربة هو بلعرب بن سلطان بن سيف بن مالك الذي تولى سنة ١٠٩١هـ / ١٦٨٠م وتوفي سنة ١١٠٤هـ / ١٦٩٢م ، وكان مشهوراً بالعدل والجود وتشجيع العلم. ومن آثاره المشهورة حصن جبرين بعمان. ولم يحدث في عهده ما يستحق التسجيل فيما يتعلق بشرق أفريقيا .

ورابع الأئمة اليعاربة هو سيف بن سلطان بن سيف، وهو شقيق الإمام بلعرب بن سلطان. وقد تولى في سنة ١١٠٤هـ / ١٦٩٢م، وتوفي في سنة ١١٢٣هـ / ١٧١١م. وكان إمامًا فاتحاً جليلاً مهيباً ذا قوة وحزم وضبط للأمور. وقد لقب بـ «قيد الأرض» لكثرة فتوحاته وانتصاراته وإحكام سيطرته. وقد أعد أسطولاً بحرياً ضخماً لمحاربة البرتغاليين واستطاع أن ينتزع منهم ما أعادوا الاستيلاء عليه من المدن في شرق أفريقيا بعد أن كان والده الإمام سلطان بن سيف قد نجح في تخليصها من قبضتهم. وهكذا نجح في إجلاء البرتغاليين إلى موزمبيق. ولم يكتف الإمام سيف بن سلطان «قيد الأرض» بإنجازاته في شرق أفريقيا بل أضاف إلى ذلك أعمالاً إصلاحية عظيمة في عمان.

وخامس الأئمة اليعاربة هو سلطان بن سيف بن سلطان بن سيف الذي يعرف بـ «سلطان الثاني»: ١١٢٣هـ/ ١٧١١م - ١١٣١هـ/ ١٧١٩م. وسلطان الثاني هو الذي حارب الفرس وأخذ منهم البحرين وجزيرة قشم وهرمز. ومن آثاره المشهورة بعمان حصن الحزم وهو بالغ الروعة والإتقان.

ويعلق المؤلف على حكم هؤلاء الأئمة الخمسة بقوله إن أيامهم كانت من غُرر الأيام وأجملها وأفضلها في عز الإسلام والمسلمين، وكانت أبنيتهم بعمان نماذج في إتقان هندستها، وقد أشرنا إلى أبرزها وهي قلعة نزوى وحصن جبرين وحصن الحزم .

وبعد وفاة سلطان الثاني في سنة ١١٣١هـ تعاقب على حكم عمان حتى سقوط دولة اليعاربة أربعة أئمة هم على التوالي: يعرب بن بلعرب بن سلطان بن سيف بن مالك، ثم سيف بن سلطان الثاني، وهو سيف بن سلطان بن سيف بن سلطان بن مالك، ثم بلعرب بن حمير بن سيف بن سلطان بن مالك، ثم سلطان بن مرشد بن عدي، وهو آخر اليعاربة.

وهناك رواية تذكر أن آخر اليعاربة هو بلعرب بن حمير الذي انتهى حكمه في سنة ١١٦٧هـ / ١٧٥٣ - ١٧٥٤م .

ومهما يكن من أمر فإن أيام هؤلاء الأئمة اليعاربة الذين خلفوا سلطان الثاني كانت أيام فتن داخلية وحروب بين أهل عمان ، الأمر الذي أتاح الفرصة لتدخل الفرس في الشئون الداخلية لعمان .

والجدير بالذكر أن ممباسة كانت عاصمة أفريقيا الشرقية في عهد اليعاربة، فقد كانت إذن مقر الوالي الرئيسي الذي يعينه سلطان مسقط .

ـ دولة المزاريع في شرق أفريقيا :

عندما ضعفت قوة اليعاربة في المرحلة الأخيرة لدولتهم - كما بينا - عرض الإمام سيف بن سلطان الثاني على المزاريع ولاية شرق أفريقيا مقابل مبلغ معلوم من المال كل سنة يؤديه المزاريع لليعاربة .

والمزاريع (أو المزارعة) إحدي الأسر العمانية المشهورة ممن هاجروا إلى شرق أفريقيا وأصبح لهم نفوذ متزايد هناك، وعلى الأخص في ممباسة، وكان أول وال مزروعي في شرق أفريقيا هو :

ـ محمد بن عثمان المزروعي :

وقد كان مقره ممباسة، فكان والياً عليها وعلى متعلقاتها. وقد تسلم ولايتها في سنة ١١٦٣هـ/ ١٧٥٠م. وهكذا كان محمد بن عثمان المزروعي يحكم شرق أفريقيا باسم أسرة اليعاربة في عمان ، وكان إمامهم في ذلك الوقت سيف بن سلطان الثاني كما أسلفنا.

ولكن سرعان ما انتقلت الإمامة في عمان من أسرة اليعاربة إلى أسرة

البوسعيديين، وكان ذلك في سنة ١١٦٧هـ/ ١٧٥٤م[1] ، حيث تولى مقاليد السلطة الإمام أحمد بن سعيد. وقد أغرى انتقال الإمامة في عمان من اليعاربة إلى البوسعيديين محمد بن عثمان المزروعي والي ممباسة أن يعلن استقلاله عن عمان وأن يحكم شرق أفريقيا باسمه، وهنا أرسل إليه الإمام أحمد بن سعيد نفراً تمكنوا من اقتحام القلعة عليه ليلاً وقتلوه. ولكن سلطة المزاريع في شرق أفريقيا لم تنته بقتل محمد بن عثمان، بل استمرت على يد ولاة كانت العلاقة بينهم وبين الدولة البوسعيدية في عمان علاقة عداء وتوتر وصدام، وكان البوسعيديون يوجهون ضربات متلاحقة لهذه الأسرة التي خرجت على طاعة الحكومة المركزية في عمان. ولكن الذي لاشك فيه أن الضربة القاصمة التي تلقاها المزاريع في شرق أفريقيا جاءت على يد السيد سعيد بن سلطان الذي استطاع أن يهزم آخر ولاتهم التسعة في شرق أفريقيا وهو خميس بن أحمد بن عثمان المزروعي في سنة ١٢٥٢هـ / ١٨٣٧م. وبذلك دانت شرق أفريقيا تماماً لحكم البوسعيديين .

ـ دولة البوسعيديين في عمان وشرق أفريقيا :

تختلف الروايات حول التاريخ الدقيق الذي تولى فيه الإمام أحمد بن سعيد (رأس الأسرة البوسعيدية) الحكم في عمان، ولعل أحرى هذه الروايات بالقبول أنه تولى سنة ١١٦٧هـ / ١٧٥٤م. أما تاريخ وفاته فيذكر على أنه ١١٩٤هـ / ١٧٨٠م أو سنة ١١٩٨هـ / ١٧٨٤م .

وهو أحمد بن سعيد بن أحمد بن محمد بن خلف بن سعيد البوسعيدي، كان مولده في بلدة أدم من عمان، ووفاته في بلدة الرستاق من عمان. والإمام أحمد بن سعيد يُعد من الأبطال المعدودين، وكان قبل توليه الإمامة من أبرز قواد سيف بن سلطان بن سيف بن سلطان اليعربي (سيف الثاني).

---

(١) يروي عن ابن رزيق أن الإمامة انتقلت في عمان من اليعاربة إلى أحمد بن سعيد رأس الأسرة البوسعيدية في سنة ١١٥٤هـ / ١٧٤١م ، وهناك رواية تذكر سنة ١١٤٧هـ لكن هذا لايتسق مع تسلسل الأحداث. انظر جهينة الأخبار، ص ٢٠٦، وانظر أيضاً ص ٢٣٠

وقد استطاع أحمد بن سعيد أن يستولي على زنجبار بعد انتقال الإمامة إليه. وقد توفي عن سبعة ذكور هم : هلال وقيس وسعيد وسيف وسلطان وطالب ومحمد؛ وعن ثلاث بنات ، وابنه سلطان هو أبو ملوك عمان وزنجبار .

ـ السيد سعيد بن سلطان وتحويل ديوان الحكومة من عمُان إلى زنجبار ١٨٤٣م:

لاشك أن الذي قام بالعبء الأكبر في دعم دولة البوسعيديين في شرق أفريقيا وفي توسيع حدودها وفي تعزيز مجد العرب العمانيين هناك هو السيد سعيد بن سلطان بن أحمد بن سعيد، وقد كان السيد سعيد بن سلطان – كما يقول المؤلف – «في الطبقة الأولى والطراز الأول من أبناء عمان في الإدارة وعظيم الهمة وبعد الصيت في كل تاريخ آسيا العربية»[١] وقد تولى الحكم في شعبان سنة ١٢١٩هـ (ديسمبر ١٨٠٤م) وتوفي في صفر سنة ١٢٧٣هـ (أكتوبر ١٨٥٦م) .

وللسيد سعيد بن سلطان مآثر جليلة جديرة بأن تخلد اسمه في التاريخ، فهو يعتبر مؤسس زنجبار. وقد قام بدور عظيم في محاربة تجارة الرقيق. وهو الذي أدخل زراعة شجرة القرنفل في زنجبار والجزيرة الخضراء بكل ما كان لذلك من أثر في الازدهار الاقتصادي بهاتين الجزيرتين. وهو الذي قضى على الفتن والقلاقل في عمان وأخمد الثورات بها، كما كانت له اليد الطولى في تثبيت أقدام البوسعيديين في شرق أفريقيا وفي القضاء النهائي على ثورات المزاريع ، وكان ذلك في سنة ١٢٥٢هـ / ١٨٣٧م كما سبق القول. وقد استطاع أن يستولي من المزاريع على قلعة ممباسة مقر حكمهم . وفي عهده أيضًا تمت رحلة السفينة سلطانة إلى نيويورك وتعتبر هذه الرحلة من أهم مآثره في إقامة العلاقات العربية الأمريكية في وقت تاريخي مبكر .

والسيد سعيد بن سلطان هو أول من اتخذ زنجبار مقراً ووطناً وعاصمة

---

(١) جهينة الأخبار : ص ٢٣٣.

لمملكته في عمان وشرق أفريقيا، وكان يرسل منها ولاته إلى بقية البقاع. ورغم أن زنجبار في ذلك الوقت كانت جزيرة مهملة تكتنفها الغابات ولا يعيرها من يمر عليها انتباها فإن السيد سعيد بن سلطان رأى ببصيرته النافذة ما ينطوي عليه موقعها من أهمية حربية وتجارية، كما أنه لاحظ طيب هوائها واعتداله؛ فهي ليست شديدة البرودة أو شديدة الحر، فقرر أن يتخذها عاصمة لمملكته في عمان وشرق أفريقيا متجاهلاً مراكز كانت تبدو أكثر منها أهمية وشهرة مثل ممباسة أو كلوة أو لاموه أو مقديشيو. وقد كان السيد سعيد موفقاً كل التوفيق في اختياره هذا .

وقد حول السيد سعيد ديوان حكومته من عمان إلى زنجبار في سنة ١٢٥٩هـ / ١٨٤٣م، وانتقل معه إلى زنجبار مئات من العمانيين .

وما هو إلا وقت قصير حتى ازدهرت التجارة في زنجبار بصورة لم يُعرف لها نظير من قبل، واتخذها العرب مركزاً ينطلقون منه لاختراق مجاهل القارة الأفريقية. وهكذا قام العرب الذين انتقلوا مع السيد سعيد ابن سلطان إلى زنجبار بدور رائع في اكتشاف تلك القارة السوداء وتوغلوا فيها - كما يقول الشيخ سعيد المغيري - «ما بين غابات الأسود ومواطن السباع المساورة ، مخاطرين بأرواحهم وأموالهم»[(١)] . والجدير بالذكر أن هؤلاء العرب كان لهم باع عظيم في اكتشاف أواسط شرق أفريقيا؛ فقد جاسوا خلالها رجالاً وركباناً ورووا الحكايات عن بحيراتها وجبالها ذات القمم المكسوة بالثلوج .

ويأسف المؤلف - بحق - لأن العرب الذين قاموا بهذا الجهد الرائع لم يدونوا لنا تجاربهم على الورق، ولو أنهم فعلوا لكنا اليوم ندرّس هذا التاريخ المجيد لأولادنا ونزداد به دراية وعقلاً، فالهمة العالية التيَ أظهرها العرب في اكتشاف مجاهل أفريقيا جديرة بأن تكتب بماء الذهب كما يذكر المؤلف .

---

(١) جهينة الأخبار : ص٢٤٧

ومما يـأسف لـه المؤلف كـذلك أن هـؤلاء العرب المستكشفين لم يقـوموا بجهد مماثـل في نشر الدين الإسلامـي والثقافة الإسلاميـة بين الأفريقيين في المناطق التي احتكوا بها، ولو أنهم قـاموا بهذا الجهد لسيطر الإسلام سيطرة كاملة هناك ولما كان هنا مجال للمبشرين لممارسة نشاطهم .

ولابد مـن أن نشير هنا إلى أن إقامة السيـد سعيد بن سلطان في جـزيرة زنجبـار وإدارته مـن هناك للممالـك الأفريقيـة لم تشغله إطـلاقاً عـن إدارة مملكتـه العربيـة العمانيـة، فقـد كان يتردد بين عمان وزنجبـار، وكـان دائم الاهتمام والمتابعة لكل مايجري هنا وهناك .

وقد كانت للسيد سعيد صلات ودية بملوك أوروبا، وكان يتبادل معهم الهدايا. ومما يذكر بهذا الصدد أن الملكة فيكتوريـا ملكة بريطانيا أهدت إليه آنية شاي مـن الفضة المموهة بالذهـب، فسر بها السيد سعيد سروراً عظيماً ولكنه لم يستعملهـا لأن استعمال آنية الـذهب والفضـة ممنوع شرعـاً. وهذا يدل على مدى تمسكه بأهداب الدين وبعده عن البذخ والإسراف.

توفي السيد سعيد بن سلطان في صفـر ١٢٧٣هـ / أكتوبر ١٨٥٦م وهو على متن سفينته فيكتوريا أثناء عودته من عمان إلى زنجبار ، ودفن بزنجبار التي اختارها وطناً له .

ـ اهتمام أوروبـا عامة، وبـريطانيا خـاصة، بشرق أفـريقيا بعد مـوت السيد سعيد بن سلطان :

دخل تاريخ زنجبار وشرق أفريقيا في عصر جديد بموت السيد سعيد بن سلطـان؛ فقد تنبهـت أوروبـا إلى أهمية أفـريقيـا بعـد الاكتشافـات الكبيرة للمستكشف البريطـاني لفنجستون، فقد كـانت أوروبـا حتى ذلك التـاريخ تعتبر أفريقيا أرضاً مـواتاً، ولكن بعد اكتشافات لفنجستـون أدركت أوروبا عامة وبريطانيا خاصة أهميـة شرق أفريقيا. وقد زاد من هذه الأهمية افتتاح قناة السويس في سنة ١٨٦٩م.

وقـد بـدأ الأوروبيون عمـومـاً - والإنجليـز بصفـة خاصـة - يعقـدون

المعاهدات بينهم وبين سلاطين عمان وشرق أفريقيا منذ عهد السيد سعيد ابن سلطان، وكانت هذه المعاهدات تدور في جوهرها حول ضمان الحقوق التجارية والإقامة غير المقيدة في زنجبار لرعايا الدول الأوروبية التي وقعتها.

والجدير بالذكر هنا أن السيد سعيد بن سلطان وخلفاءه كانوا على صلة ودية خاصة ببريطانيا، فقد كانوا يدركون دورها المتزايد في تلك المنطقة ومدى أهمية هذا الدور في الوقوف أمام الفتن والثورات التي كانت تواجه حكام عُمان وشرق أفريقيا .

ـ تسامح سلاطين زنجبار البوسعيديين مع الأجناس غير العمانية :

هاجر إلى زنجبار وشرق أفريقيا منذ عهد السيد سعيد بن سلطان عديد من الأجناس غير العمانية، فمن هؤلاء عرب من الحضارمة (أهل حضرموت) ومن أهل البحرين، ومنهم قمريون (من جزر القمر)، ومنهم بعض الأجناس الهندية كجماعة السلطان أغا خان الإسماعيلية، والبهرة، والبلوش وهناك بعض الفرس من عبدة النار، هذا بالإضافة إلى الأمريكان والإنجليز و الفرنسيين. ومما ينبغي تسجيله هنا أن سلاطين زنجبار لم يتعصبوا لجنس أو دين، بل عاملوا كل الأجناس والأديان بعدل وإنصاف وساووا بين كل المقيمين بمملكتهم في أعمال الحكومة وغيرها . وإنك لست بواجد مثالاً واحداً يشير إلى أي نوع من التفرقة مهما حاولت أن تقلب صفحات تاريخ زنجبار. ومن اللافت للنظر أن الأجناس الهندية – في ظل هذه المساواة – استطاعت أن تستولي على أعمال التجارة وأن تكوّن ثروات طائلة، فأخذت ممتلكات العرب وأموالهم تنتقل شيئاً فشيئاً إلى الهنود !

ـ مصادر الثروة في شرق أفريقيا قبل زراعة القرنفل :

كان اقتصاد شرق أفريقيا قبل إدخال شجرة القرنفل يعتمد أساساً على الزراعة والتجارة. وكان من أشهر المحاصيل الزراعية قصب السكر والأرز والسمسم. أما التجارة فكانت تتركز في العاج وقشور السلاحف والعنبر.

وكانت قوافل العرب التجارية تتردد على طول الساحل الأفريقي وفي داخل أفريقيا للبيع والشراء. ولم تكن شجرة القرنفل معروفة في شرق أفريقيا قبل عهد السيد سعيد بن سلطان بل كانت توجد في الهند وسيلان وموريشيوس ومدغشقر. ولكنهم في هذه البقاع لم يكونوا يولونها اهتماماً لأنها لم تكن مطلوبة هناك.

وعندما فكر السيد سعيد بن سلطان في زراعة القرنفل نصحه الأوروبيون والأمريكيون المقيمون في زنجبار ألا يفعل ذلك وأشاروا عليه بتوجيه مزيد من الاهتمام لقصب السكر ولكنه لم يلتفت لنصيحتهم، وصمم على زراعة القرنفل، وجلب البذور من جزيرة موريشيوس سنة ١٢٤٣هـ (١٨٢٧م). وقد زرعه أولاً في زنجبار ثم في الجزيرة الخضراء، فكان فاتحة خير وبركة على أهل هاتين الجزيرتين ونجح نجاحاً منقطع النظير.

ـ ولاية السيد ماجد بن سعيد بن سلطان على شرق أفريقيا :

تولى السيد ماجد بن سعيد بن سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد زمام الحكم في زنجبار خلفاً لأبيه في غرة ربيع الأول ١٢٧٣هـ (١٨٥٦م) وتوفي في رجب ١٢٨٧هـ (١٨٧٠م).

وقد سار سيرة أبيه في اللين والرفق بالرعية وفي الحرص على أموال الدولة وتجنب مظاهر البذخ والإسراف.

وخلف ماجد بن سعيد ابنة واحدة اسمها (خنفورة) ولم يعقب ذكوراً.

ـ النزاع بين ماجد بن سعيد وأخيه ثويني، وانفصال زنجبار عن عمان :

عين السيد سعيد بن سلطان ابنه الأكبر ثويني بن سعيد سلطاناً على عمان، وابنه الثاني ماجد بن سعيد سلطاناً على زنجبار، فكان استخلاف هذين بداية لانفصال زنجبار عن عمان انفصالاً دائماً.

وقد تسلم ثويني بن سعيد مسئوليات ولايته في عمان قبل وفاة أبيه، وحيث إنه كان الابن الأكبر فقد اعتبر زنجبار داخلة في حقوق ميراثه من أبيه.

ولكن ماجد بن سعيد لم يقر لأخيه بهذا، واعتبر أن ولايته على زنجبار لاينبغي أن تكون موضع نزاع، وقد انضم إلى جانبه أعيان زنجبار وعامتها.

وقد كادت ساحات مسقط وعمان وشرق أفريقيا أن تصبح ميداناً للحرب بين الأخوين - ولكن الحكومة البريطانية تدخلت للصلح بينهما وألزمت ثويني بن سعيد بالكف عن تهديده لأخيه ماجد في زنجبار. وقد قام الصلح بين الأخوين على أساس أن تكون عمان من نصيب ثويني بن سعيد؛ وزنجبار وما يتبعها في أفريقيا من نصيب ماجد بن سعيد، على أن تدفع حكومة زنجبار لحكومة مسقط أربعين ألف ريال كل عام. وتم عقد هذا الصلح في عام ١٢٧٤هـ (١٨٥٧م) . وهكذا دخل تاريخ شرق أفريقيا في عصر جديد .

ـ المطامع البريطانية في شرق أفريقيا في عهد ماجد بن سعيد :

تنبهت بريطانيا - كما أسلفنا - إلى الأهمية البالغة لقارة أفريقيا بعد الاكتشافات العظيمة التي قام بها الرحالة الإنجليزي لفنجستون . وقد كان عرب زنجبار باكتشافاتهم الهائلة في مجاهل أفريقيا هم الذين مهدوا الطريق أمام المستكشفين الأوروبيين .

وقد بلغت الاكتشافات الأوروبية في أفريقيا مبلغاً عظيماً أثناء ولاية ماجد بن سعيد، الأمر الذي ألهب حماسة أوروبا للسيطرة على هذه القارة السوداء بعد إدراك مدى أهميتها الحربية والاقتصادية .

ولكن المطامع الأوروبية في قارة أفريقيا لم تفصح عن نفسها بصورة عملية إلا بعد سنوات من وفاة السيد ماجد بن سعيد ، أو بالتحديد في عهد ولاية أخيه برغش بن سعيد، وذلك بعد عقد مؤتمر بروكسل كما سوف نشير إلى ذلك في موضعه .

- الفتنة بين ماجد بن سعيد وأخيه برغش (أو ثورة مارسيل) :

كان برغش بن سعيد يكيد لأخيه ماجد منذ توليه العرش، وكانت تسانده في ذلك جماعة الحرث. وقد تدهورت العلاقة بين الأخوين إلى حد المواجهة المسلحة بينهما فيما عرف باسم «ثورة مارسيل»[١] والمعروف أن برغش كان ذا ميول فرنسية وكان يتبنى مصالح فرنسا في المنطقة، ومن هنا وجد منها كل التأييد والعون. أما ماجد فقد كان يجد العون من الإنجليز. وهكذا يمكن القول إن الصدام بين ماجد بن سعيد وأخيه برغش كان صداماً بين المصالح الإنجليزية والفرنسية في زنجبار .

وقد تآمر برغش بن سعيد لاغتيال أخيه ماجد وفشلت المؤامرة، فلجأ برغش إلى قنصل فرنسا طلباً للحماية وخوفاً من بطش أخيه، ثم اختفى بين المزارع وجمع حوله جموعاً من العرب والأفارقة وأخذ في تحصين سراي مارسيل استعداداً لمواجهة حاسمة بينه وبين أخيه ماجد .

وهكذا اضطر ماجد بن سعيد أن يهاجم سراي مارسيل، وكان ذلك في سنة ١٢٧٦هـ (١٨٥٩م)، واستعان في هجومه بالإنجليز الذين أمدوه بالضباط والمدافع، واستطاع ماجد بهذا العون أن يخمد ثورة مارسيل وأن يهدم كثيراً من سراي برغش، وقد قُتل في هذه المعركة من أتباع برغش خمسون نفراً. ونتيجة لهزيمة برغش مُني نفوذ الفرنسيين في شرق أفريقيا بنكسة بالغة وازداد نفوذ الإنجليز رسوخاً .

وفي أعقاب فشل هذه الثورة نفى السيد ماجد بن سعيد أخاه برغشاً إلى الهند، وذلك بعد أن تعهد برغش بالكف عن التآمر ضد أخيه أو الخروج على طاعته، وحضر هذا التعهد وشهد عليه القنصل الإنجليزي وأعيان العرب وأقسم برغش على الوفاء به .

وبعد إقامة برغش بن سعيد في منفاه في بومباي بالهند ثمانية عشر شهراً عفا عنه أخوه ماجد وسمح له بالعودة إلى زنجبار ، فعاد بعد أن حنكته التجارب وصقلته الحوادث .

---

(١) مارسيل اسم مزرعة تقع إلى الشرق من زنجبار وتبعد عنها سبعة أميال، وهي من أملاك برغش بن سعيد، وكان بها قصره، والتسمية نفسها تشير إلى ميول برغش الفرنسية ..

ـ أهم الأعمال الإصلاحية لماجد بن سعيد :

كان ماجد بن سعيد مهتماً بتنفيذ العدل بين رعيته، حريصاً على تطبيق أحكام الشرع، ساعياً إلى نشر العلم سواء أكان العلم الديني أم العلوم الحديثة. ويروى في هذا الصدد أنه عقد العزم على إرسال بعثة إلى أوروبا مكونة من عشرين عضواً لتعلم مختلف فروع المعرفة المعاصرة ولكن الأجل لم يمهله لتنفيذ عزمه .

وقد عمل ماجد بن سعيد على تكوين جيش حديث يعتمد على جنود نظاميين مدربين تدريباً عصرياً. وكان هؤلاء الجنود يتألفون في معظمهم من العجم وكان قائدهم هو «طلب على خان» الذي توفي سنة ١٢٩٧هـ في ولاية برغش بن سعيد بزنجبار .

وقد قام ماجد بن سعيد بدور بارز في القضاء على تجارة الرقيق بشرق أفريقيا، كما نعمت الرعية في عهده بالأمن ولم يشتك أحد من بطشه ولا من أحكامه .

وكانت معاملته الحسنة للمواطنين والوافدين سبباً في تقاطر التجار من كل صوب إلى زنجبار فانتعشت التجارة في عهده .

ـ إنشاء مدينة دار السلام :

على أن من أعظم إنجازات ماجد بن سعيد وأعماله الباقية أنه بدأ في إنشاء دار السلام (عاصمة تنزانيا الحالية) وكان ينوي نقل العاصمة إليها. وكانت بداية إنشائه وتعميره لها في سنة ١٢٨٥هـ (١٨٦٨م)، ولكنه توفي بعد ذلك بعامين، أي في سنة ١٢٨٧هـ (١٨٧٠م)، فترك هذه المهمة لخلفه. والجدير بالذكر أن ماجد بن سعيد هو الذي أطلق على دار السلام هذا الاسم الذي يحفل بما فيه من دلالات إسلامية خالصة .

ـ الاكتشافات الأوروبية في شرق أفريقيا في عهد ماجد بن سعيد :

ظل الأوروبيون حتى القرن التاسع عشر لايعرفون من قارة أفريقيا إلا سواحلها فقط. وقد كانت اكتشافات العرب العمانيين لكثير من مجاهل

أفريقيا ما بين سنتي ١٢٥٠هـ و ١٢٧٠هـ (١٨٣٤-١٨٥٤م)- أي في عهد سعيد بن سلطان كما أشرنا - أساسا مهما أتاح للسائحين الأوروبيين تحقيق مزيد من الاكتشافات الخطيرة التي شهدها العالم في قارة أفريقيا منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي .

وقد شهد عهد ماجد بن سعيد اكتشافات أوروبية بارزة في هذا المجال كان أهمها - من غير شك - تلك التي قام بها المستكشفان البريطانيان ريتشارد بيرتون **Richard Burton** وجون سبيك **John Speke** في سنة ١٨٥٧م. وقد وصلا في سنة ١٨٥٨م إلى بحيرة تنجانيقا. ولكن بيرتون مرض أثناء تلك الرحلة فواصل سبيك السير حتى وصل إلى فيكتوريا نيانزا **Victoria Nyanza** أو بحيرة فيكتوريا **Lake Victoria** واكتشف منابع النيل، وقد وجد بيرتون وسبيك أثناء رحلتهما في مجاهل أفريقيا كل عون ومساعدة من العرب المقيمين هناك، بل إن القارب الذي اجتازا به بحيرة تنجانيقا كان قارباً عربياً .

ـ ولاية السيد برغش بن سعيد بن سلطان على شرق أفريقيا :

تولى برغش بن سعيد بن سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد عرش زنجبار في رجب سنة ١٢٨٧هـ ـ١٨٧٠م) عقب وفاة أخيه ماجد، وتوفي بالباخرة في شهر رجب أيضاً سنة ١٣٠٥هـ (١٨٨٨م) أثناء عودته من عمان إلى زنجبار، ودفن بجوار أبيه وأخيه في زنجبار .

وقد كان برغش بن سعيد - كما يذكر المؤلف - «آخر سلاطين زنجبار اسماً ومعنى»[1] ؛ فقد كان شديد الهيبة، وكان من أفراد الملوك في علو الهمة وقوة الإرادة وحسن السيرة. كما كان شغوفاً بالعلم والعلماء، فقرب العلماء وأكرم جانبهم، وكان في الوقت نفسه مثالاً للانضباط وحسن استغلال الوقت .

ومما يروى في ذلك أنه قسم يومه بين تلاوة القرآن الكريم ودراسة العلوم الدينية والنظر في شئون المملكة والنظر في حاجاته الخاصة والنظر في الشكايات ومطالب ذوي الحاجات والنظر في القضايا المهمة . وقد خصص

(١) جهينة الأخبار، ص ٣٢٧.

لكل هـذه المهام أوقاتـاً معلومة كل يـوم وكان حريصـاً على مراعاتها بـدقة وانتظام، ولم يكـن السيد بـرغش يلقـي بعبء الحكـم على سواه لينعـم هو بالراحة بل كان يشرف على الأمور بنفسه .

وكان لبرغش بن سعيد موكب عظيم المنظـر بالغ الهيبة يتكون من الخيل العتاق المسـومة والإبل الهجـان والعربات التـي تجرها الخيول، والخيـالة ، والجنود المشاة، وكانت مركبته الخاصة تجرها أربع خيول .

ـ أهم مأثر برغش بن سعيد وأعماله الإصلاحية :

كان بـرغش مطبـوعاً على عمل الخير؛ ومـن أعماله الخيريـة العديـدة أنه خصص باخرتين من بواخره لنقـل الحجاج من مملكته ومن مسقط إلى بيت الله الحرام والعودة بهم مجاناً في الذهاب والإياب .

ومن مأثره كـذلك أنه أنشأ في زنجبار مطبعة عربية لطبـع الكتب الدينية والأدبية وغير ذلك من سائر العلوم.

كما مهد العـديد مـن طرق زنجبار، وكـان مولعـاً بالعمارة، ومـن آثاره المعمارية الـرائعة قصره الفـاخر العجيب الـذي عرف فيما بعـد باسـم «بيت العجائب» وكـان تحفة معمارية في شرق أفريقيـا في ذلك الوقت . وقـد بناه على أعمدة ضخمة من الحديد وزينه بالآيـات القرآنية المكتوبة بماء الذهب. وبـالقصر منارة عـاليـة محكمة الصنـع. وانتهـى برغـش مـن بنائه في سنـة ١٣٠٢هـ (١٨٨٥م) .

وبنـى في زنجبار حماماً محكم الصنـع على نسـق حمامات مصر والشـام، وكـان مـولعاً بـإنشـاء الحدائق العـامـة ذات الأزهـار والريـاحين المختلفـة الأجناس والروائح والألوان .

وسر اهتمام السيد برغـش بالقصور والعمران أنـه لما نُفي إلى الهند ورأى العمران هناك ونظر إلى ما ينعم به بعض زعماء الهند من راحة بدأ يقلدهم. كما سافر إلى أوروبـا ورأى عظمة عمرانها وتمدنها، وزار مصر ورأى سراي الخديوي. كل ذلك جعل برغش يتجه إلى بناء القصور وغرس البساتين .

ـ مؤتمر بروكسل وازدياد المطامع الأوروبية في شرق أفريقيا في عهد برغش ابن سعيد :

شهد عهد السلطان برغش تحولاً خطيراً في مسار الاهتمامات الأوروبية بشرق أفريقيا. فقد ذكرنا آنفاً أن الاكتشافات الأوروبية في قارة أفريقيا بلغت مبلغاً عظيماً في عهد السلطان ماجد بن سعيد. وقد قُدّر لهذه الاكتشافات أن تلفت أنظار الأوروبيين إلى ما ينطوي عليه مستقبلَ القارة الأفريقية بالنسبة لهم على المستوى الاقتصادي والعسكري. وقد بدأت هذه الاهتمامات الأوروبية بأفريقيا تعبر عن نفسها بصورة واضحة في عهد السلطان برغش بن سعيد، وخاصة إثر عقد مؤتمر بروكسل سنة ١٨٧٦م.

ففي العام المذكور دعا ملك بلجيكا أقطاب الدول الأوروبية إلى مؤتمر عقد في العاصمة بروكسل، وذلك للتباحث في شأن دور أوروبا المستقبلي في أفريقيا .

ولاشك أن هذا المؤتمر كان وراء تقسيم أفريقيا بين الدول الأوروبية. وقد سيطرت بلجيكا على الكونغو وصاغت لها اسما هو : مملكة الكونغو الحرة . وكانت زنجبار والساحل الأفريقي كله من نصيب الاستعمار البريطاني. ثم تم الاتفاق بعد ذلك (في نوفمبر سنة ١٨٨٦م) على تقسيم مناطق النفوذ في شرق أفريقيا بين بريطانيا وفرنسا وألمانيا. وكان لبريطانيا نصيب الأسد من أقسام هذه المملكة الممزقة .

ـ المعاهدة بين بريطانيا وبرغش بن سعيد بشأن إبطال تجارة الرقيق :

في ٩ ربيع الأول ١٢٩٠هـ (٥ يونيو ١٨٧٣م) عقدت بريطانيا مع برغش بن سعيد معاهدة تقضي بإبطال تجارة الرقيق في جميع أنحاء بلاده إبطالاً تاماً. وتنص المعاهدة على منع جلب الرقيق إلى البلاد الواقعة تحت سلطان برغش بن سعيد أو إرسالهم إلى بلاد أجنبية؛ وكل سفينة تحمل رقيقاً من زنجبار وممالكها إلى بلاد أجنبية بعد تاريخ المعاهدة تضبط ويعاقب ربانها. وقد تعهد برغش بناء على هذه المعاهدة أن يغلق جميع أسواق الرقيق في مملكته وأن يحمي الرقيق المعتقين .

وقد وقع على هذه المعاهدة نيابة عن الجانب البريطاني جون كيرك John Kirk القنصل البريطاني بزنجبار[١] . وعن الجانب العماني ناصر بن سعيد ابن عبد الله وزير السلطان برغش.

ورغم أن علاقة برغش بن سعيد ببريطانيا شابها التوتر في البداية لما كان يكنه برغش من ولاء لفرنسا فإن هذه العلاقة أخذت في التحسن عندما أدرك برغش أن صداقة فرنسا لم تجده نفعاً، وخصوصاً بعد زيارة قام بها السلطان برغش للملكة فيكتوريا ملكة بريطانيا في غرة ربيع الثاني سنة ١٢٩٢هـ (١٨٧٥م). وقد قطع السلطان برغش بعد هذه الزيارة كل علاقة وطيدة له مع الدول الأوروبية الأخرى.

ـ زيارة برغش بن سعيد لمصر وسبب احتلال مصر لبنادر الصومال في عهده:

أثناء عودة برغش بن سعيد من رحلته إلى بريطانيا مر على مصر - وكان يحكمها في ذلك الوقت الخديوي إسماعيل - فتلقاه الخديوي بكل الحفاوة والتكريم، وكان سفر برغش من بريطانيا إلى مصر على سفينة بريطانية. وحدث في ذات اليوم الذي كان برغش يزمع فيه السفر من مصر إلى زنجبار أن أحد أقارب الخديوي توفي، فرأى برغش من اللياقة أن ينتظر حتى يشيع جثمان المتوفي ويشهد دفنه ويمكث أيام العزاء في مصر. ولكن السفينة البريطانية التي أقلته إلى مصر أبحرت دون أن تنتظره .

وبعد انتهاء العزاء أصدر الخديوي أمره إلى إحدى سفنه الحربية أن تُقل برغش بن سعيد إلى زنجبار، فسافر برغش في سفينة الخديوي.

ولكن عند وصول السفينة إلى عدن جاءه القنصل الإنجليزي وأخبره أن حكومته أمرته أن يبلغ سلطان زنجبار أن ينزل من سفينة الخديوي وأن يركب في طريقه من عدن إلى زنجبار سفينة بريطانية كانت قد أعدت لهذا الغرض. وبعد نقاش طويل لم يجد برغش بداً من الاستجابة لطلب القنصل البريطاني فنزل من سفينة الخديوي وركب السفينة البريطانية ولكن بعد أن

(١) شغل السير جون كيرك وظيفة قنصل بريطانيا في زنجبار من سنة ١٨٦٦م إلى سنة ١٨٨٧ م

كتب كتاباً لقبطان السفينة المصرية يقر فيه أنه ترك مركب الخديوي عن طيب خاطر .

وعندما أُبْلغَ الخديوي إسماعيل بالقصة استشاط غضباً واعتبر أن ماحدث يمثلَ إهانة موجهة من برغش بن سعيد لحكومة مصر لأنه نزل من السفينة المصرية قبل أن يصل إلى بلاده. ومن هنا أعد الخديوي جيشاً وجهه إلى شرق أفريقيا واستطاع أن يستولي على بنادر الصومال التي كانت خاضعة في ذلك الوقت لحكومة زنجبار، واستمرت هذه البنادر تحت الإدارة المصرية مدة عامين، ثم تدخلت الدولة البريطانية من أجل سحب الجيش المصري من الصومال فاستجاب الخديوي لذلك.

ـ مرض برغش بن سعيد ووفاته (١٨٨٨م) :

مرض برغش بداء السل، ثم ذهب إلى عمان للاستشفاء عندما قيل له إن بها عين ماء ينبع منها ماء حار يشفي من اغتسل به من هذا الداء. فلما لم يبرأ برغش باستحمامه في هذه العين عاد إلى زنجبار، ولكن المرض اشتد عليه وهو في طريق العودة فتوفي على متن سفينته البخارية في ١٤ رجب سنة ١٣٠٥هـ (١٨٨٨م) ودفن بزنجبار، وخلف ابنا هو خالد بن برغش.

ـ سلاطين زنجبار منذ وفاة برغش بن سعيد إلى ولاية حليفة بن حارب : ١٣٠٥ - ١٣٢٩هـ / ١٨٨٨ - ١٩١١م :

تولى عرش زنجبار خلال هذه الفترة خمسة سلاطين هم على الترتيب:

١ - خليفة بن سعيد بن سلطان: ١٣٠٥ - ١٣٠٧هـ / ١٨٨٨ - ١٨٩٠م

٢ - على بن سعيد بن سلطان : ١٣٠٧-١٣١٠هـ/ ١٨٩٠-١٨٩٣م

٣ - حمد بن ثويني بن سعيد : ١٣١٠-١٣١٤هـ/ ١٨٩٣-١٨٩٦م

٤ - حمود بن محمد بن سعيد :١٣١٤-١٣٢٠هـ/ ١٨٩٦-١٩٠٢م

٥ - على بن حمود بن محمد : ١٣٢٠-١٣٢٩هـ/ ١٩٠٢-١٩١١م

ولم تحدث في ولاية خليفة بن سعيد بن سلطان حوادث تستحق الذكر . أما أبرز الأحداث في ولاية على بن سعيد بن سلطان فهو دخول زنجبار تحت الاستعمار البريطاني ، وكان ذلك بتاريخ ٤ نوفمبر ١٨٩٠م (١٣٠٨هـ) .

والسبب في ذلك أن على بن سعيد أصدر منشورا بإدارة الجمارك يقضي بمنع استعمال الرقيق والاتجار فيهم في مملكته ، وقد ثار العرب من أجل ذلك فخشي على بن سعيد على نفسه من بطشهم فلجأ إلى القنصل البريطاني طلبا للحماية . وهكذا وقعت زنجبار في قبضة الاستعمار البريطاني .

أما حمد بن ثويني بن سعيد فقد حاول - أثناء فترة ولايته - أن يستولي على عمان وأن يضمها إلى مملكته . وكان سلطان عمان في ذلك الوقت هو فيصل بن تركي بن سعيد . وقد هاجمت جنود حمد بن ثويني مسقط بقيادة الشيخ عبد الله بن صالح في شعبان سنه ١٣١٢هـ/ ١٨٩٥ م ودامت المعركة اثنين وعشرين يوما كان النصر فيها حليف سلطان مسقط فيصل بن تركي. وهكذا باءت هذه المغامرة بالفشل!

وبعد وفاة السيد حمد بن ثويني بن سعيد في ١٥من ربيع الأول سنة ١٣١٤ هـ(١٨٩٦م) أعلن ابن عمه خالد بن برغش بن سعيد نفسه ملكا على زنجبار وحظي بتأييد الزعماء العرب وأعيان زنجبار ، وكان ذلك ضد إرادة الإنجليز الذين كانوا لايثقون بولاء خالد بن برغش . وكان خالد بن برغش يدرك تماما أنه دخل في مواجهة مع الإنجليز ومن هنا بدأ يستعد لقتالهم . وقد تلقى خالد إنذارا من القنصل الإنجليزي بإنزال العلم الزنجباري من على قصره كرمز للخضوع وذلك في موعد لا يتجاوز الساعة الثالثة يوم ١٧ربيع الأول سنة ١٣١٤ هـ (أغسطس ١٨٩٦ م) ولكن خالد ابن برغش لم يستجب للإنذار فهاجم الإنجليز القصر في الساعة المذكورة ودارت رحى معركة قصيرة استمرت ٢٥ دقيقة أسفرت عن مذبحة بشعة قتل فيها مائتان وخمسون جندياً من جنود خالد بن برغش عدا الجرحى.

وتمكن خالد من الهرب واللجوء إلى السفارة الألمانية التي أظلته

بحمايتها.

وقد اختار الإنجليز حمود بـن محمد بن سعيد سلطانا على زنجبـار بعدما أخذوا عليـه العهود والمواثيـق ألا يخون الدولة البريطـانية . وكـان ذلك في نفس اليوم الذي دارت فيه معركة القصر وهو السابع عشر من ربيع الأول سنة ١٣١٤ هــ.

والجدير بالذكر هنـا أن الذي أغرى خالد بن برغش بـإعلان نفسه ملكا على زنجبار هـو السلطان السابـق حمد بن ثويني بـن سعيد . يروي شـاهد عيـان أن حمد بن ثـويني - وهـو على فراش الموت - استـدعي خـالد بـن برغـش وطلب منه ألايتـأخر بعد وفاتـه عن الارتقاء على عـرش زنجبار ، وأوعز إلى قائد جيشـه ، واسمه صالح الأنجـزيجي ، أن يعاضد خالـد بن برغش ويطيع أوامره .

وقد كـان الجنود الزنجبـاريون وسائر حاشيـة القصر في صف خالـد بن برغش ، مما أغراه أن يقف في وجه الإنجليز وأن يجاهرهم بالعداء.

أما عن مصير خالـد بن برغش بعد هزيمته فـإنه لجأ إلى السفارة الألمانية كما ذكرنا ، وذهب إلى دار السلام في حماية الألمان ؛ فقد كانت دار السلام في ذلك الوقـت تحت السيطرة الألمانية . ولما هزم الألمان في الحرب العـالمية الأولي واستولى الإنجليـز على دار السلام نُفي خالـد بن برغش إلى سـانت هيلانة في سنة ١٩١٧م ثم إلى جزيرة سيشيـل ، ثم إلى ممباسة ، وظل فيها إلى أن توفي في رمضان سنة ١٣٤٥هـ(١٩٢٧م) .

والمعروف أن خـالد بن بـرغش كان محبوبـا من العرب والسـواحيلية في زنجبار والجزيرة الخضراء وكان الجميع هناك يتمنون أن يؤول الملك إليه.

هكذا ارتقـى حمود بن محمـد بن سعيـد العرش على حـراب الإنجليز في سنة ١٨٩٦ م ، فكـان من الطبيعي أن يزيـد نفوذ الإنجليز في عهـده زيادة غير مسبوقة . ومن أبـرز ما ينبغي تسجيله خلال حكم حمود بـن محمد بن سعيد أن استخدام الرقيق والاتجار بهم انتهى نهاية تامة من شرق أفريقيا.

ومما يسجله التاريخ لحمود بن محمد أنه أول من زار الجزيرة الخضراء من سلاطين البوسعيديين . فلم يذهب لزيارة هذه الجزيرة أحد قبل حمود بن محمد رغم أهميتها البالغة لحكومة شرق أفريقيا وبالأخص من الناحية الاقتصادية .

وعند وفاة حمود بن محمد في سنة ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢م) تقلد ابنه على بن حمود زمام الحكم .

وقد كان على بن حمود عند وفاة أبيه يتلقى الدراسة في انجلترا ، فعاد وتسلم السلطة في احتفال مهيب.

والواضح أن إقامة على بن حمود في انجلترا تركت بصماتها على شخصيته، فقد كان أوروبي الفكر والثقافة والطباع ، وكان يجيد الإنجليزية إجادة تامة. وهو أول من أنشأ مدرسة لتعليم العلوم العصرية في زنجبار في سنة ١٩٠٨م وكان ينفق عليها من جيبه الخاص . كما أحضر إلى زنجبار مولدا كهربائيا لإنارة الشوارع والبيوت .

وفي سنة ١٩١١ م دعت الحكومة البريطانية على بن حمود - بين من دعتهم من ملوك العالم وسلاطينه - لحضور حفل تتويج جورج الخامس ملك بريطانيا وامبراطور الهند ، فسافر على بن حمود وبصحبته خليفة بن حارب (الذي سيخلفه في السلطنة) . ولكن عند وصولهما باريس رأى على ابن حمود أن ينيب عنه في حضور التتويج السيد خليفة بن حارب وآثر هو أن يقيم بباريس . ومن هناك أبرق إلى حكومة بريطانيا يخبرها باعتزاله عرش زنجبار .

ـ ولاية السلطان خليفة بن حارب: ١٣٢٩-١٣٨٠هـ/ ١٩١١-١٩٦٠م:

هو خليفة بن حارب بن ثويني بن سعيد بن سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد . تولى عرش زنجبار في ١٧ من ذي الحجة سنة ١٣٢٩ هـ (ديسمبر ١٩١١م) وذلك بعد اعتزال على بن حمود بن محمد .

ولد خليفة بن حارب بمسقط عاصمة عمان في سنة ١٢٩٧هـ

(١٨٨٠م). وقـد ظل في عمان حتى تولى عمـه حمد بـن ثويني بن سعيـد عرش زنجبـار في سنة١٣١٠هـ(١٨٩٣م) فـاستدعـاه من عمان إلى زنجبـار واستدعى معه أفراد أسرته وأسبغ عليهم كل مظاهر الحفاوة والتكريم .

ولما توفي حمد بن ثويني سنـة ١٣١٤ هـ (١٨٩٦م) وتولى حمود بن محمد لقي منه خليفة بن حارب ما لقيه من سلفه من الحفاوة والتكريم . وإمعانا في الحفاوة به زوّجه ابنتـه معتوقة (وهي التي أنجب منهـا خليفة بن حارب ولي عهده عبد الله) . وعندما ارتقى على بن حمود العرش خلفا لأبيه حمود ابن محمد زاد في إكرام خليفة بن حارب ، بل إنه أنابه عنه في حضور حفل تتويج الملك جورج الخامس ملك بريطانيا وامبراطور الهند في سنة ١٩١١ م كما ذكرنـا سابقـا . وعندما تنـازل على بن حمود عـن عرش زنجبـار اختار الإنجليـز خليفـة بـن حـارب خلفـا لـه، فتـولى السلطنـة في ديسمبر سنـة ١٩١١م.

ـ صفات خليفة بن حارب وأعماله الإصلاحية :

كـان خليفـة بن حـارب بشـوشـا طلـق الـوجه، مثقفـا يحسـن الكـلام بالإنجليزيةُ ، ذا رأي صائب وفكر ثاقـب ، وكان جمّ التواضع ، لايأنف من مقابلة الفقير الأعمى والأعرج ورث الثيـاب ،كما كان يفتح بابه لذوي الحاجـات ولا يضنٌ عليهـم بمسـاعدة . وكـان جـوادا كثير الصدقـات ، وفارسا مولعا بركوب الخيل وممارسة الرياضات المختلفة .

وقد تحقق في عهد خليفة بن حـارب كثير من الإصلاحات والإنجازات . فمن ذلك تمهيد طرق الأرياف بالحصى تسهيلا للانتقال ونقل المحاصيل الزراعية إلى الأماكن المختلفة بالبـلاد. ومن ذلك أيضا مدّ الخدمات الطبية إلى الأرياف وإنشـاء ميناء مليـنـدي في عام ١٣٤٨هــ (١٩٢٩ م) ، وإنشاء المدراس الجديدة في مختلـف أنحاء البلاد . والجدير بـالذكر أن عهـده شهد إنشاء أول مدرسة للبنات بزنجبار . وقـد لقي إنشاء هذه المدرسة معارضة من المحافظين الـذين رأوا فيها سببا في تحول النساء من الطبـائع العربية إلى الطبائع الأوروبية .

والجدير بالملاحظة هنا أن خليفة بن حارب وجّه كثيرا من اهتمامه للجزيرة الخضراء وأعطاها ما تستحق من عناية ، فزارها غير مرة. ولم تجد الجزيرة الخضراء اهتمامًا ملائماً من سلاطين زنجبار السابقين من البوسعيديين .

وأول سلطان زارها - كما أشرنا- هو حمود بن محمد ، وكان ذلك في سنة ١٣١٦ هـ ؛ كما زارها علي بن حمود في سنة ١٣٢٥ هـ . ولكن اهتمام خليفة بن حارب بالجزيرة الخضراء فاق اهتمام سلفيه ؛ فقد فتح فيها الطرق وتوسع في إمدادها بالمياه وبالتعليم وبالرعاية الطبية ، وأنشأ فيها مراكز للإدارات الحكومية وللبريد والإدارة الزراعية والأشغال العمومية وإدارة لمنتجي القرنفل ، ووجه اهتماما كبيراً لمراكزها الحضرية الثلاثة وهي : ويتة وشكشك ومكواني .

وتجدر الإشارة إلى أن عاصمة الجزيرة الخضراء انتقلت في عهد خليفة بن حارب من مدينة شكشك إلى مدينة ويتة وذلك بفضل مرساها البحري المتميز وأرضها المستوية.

ـ شرق أفريقيا أثناء الحرب العالمية الأولى والثانية:

لا يغفل المؤلف أهم الأحداث العالمية التي وقعت في عهد السلطان خليفة بن حارب، كما أنه لايغفل دور شرق أفريقيا في هذه الأحداث .

ولاشك أن أبرز الأحداث العالمية في عهد خليفة بن حارب هما الحربان العالميتان الأولى والثانية .

وقد اندلعت الحرب العالمية الأولى في سنة ١٩١٤م(١٣٣٢هـ) ، أي بعد ثلاث سنين من تولية خليفة بن حارب ، وكان من الطبيعي أن ينضم السيد خليفة بن حارب إلى المعسكر الذي يضم بريطانيا ضد ألمانيا وتركيا . هكذا أعلن خليفة بن حارب في اليوم الثاني لاندلاع الحرب أن بلاده تقف في صف بريطانيا، أي أنها في حالة حرب مع ألمانيا . ومن هنا فقد أيدت حكومة زنجبار الدولة البريطانية في الحرب العالمية الأولى بالعدد والعدة

قدر استطاعتها . كما قام خليفة بن حارب بالدعاية لصالح بريطانيا في جميع أنحاء شرق أفريقيا ، وكان في أثناء هذه الدعايه يحضّ رعاياه على التمسك بالـولاء للتاج البريطاني . وقـد وجه خليفـة بن حارب انتقـاده لتركيا لأنها وقفت في صف ألمانيـا في هذه الحرب . ولم تسلم زنجبار مـن الاكتواء بنار الحرب العالمية الأولى؛ ففي سبتمبر سنـة ١٩١٤م هاجمت إحدى المدرعات الألمـانية مـدرعة إنجليزيـة راسية في زنجبـار وتحطمت المدرعة الإنجليـزية وقتل من ضباطها مائة نفس .

وقد استمرت الحرب العالمية الأولى أربـع سنين كان النصر فيها لبريطانيا وحلفائهـا. وعندمـا اندلعـت الحرب العالميـة الثانيـة في سنة ١٩٣٩م بـادر السلطان خليفة بـن حارب بإرسال بـرقية إلى الملك جورج السـادس ملك بـريطانيـا، بتاريـخ ١٨ ديسمبر سنة١٩٣٩م ، يعبر فيهـا عن تـأييد مملكتـه لبريطانيـا في هذه الحرب. وقد رد الملـك جورج السادس على هـذه البرقية معبرا عـن تقديـره للـدور الذي لعبتـه زنجبـار في الحرب العالميـة الأولى؛ والدور الذي أبدت استعدادها للقيام به في الحرب الثانية.

وقـد كان النصر في البـداية - كما هـو معـروف - في صف ألمانيـا ودول المحور، واستسلمت فـرنسا لألمانيا ، وتوالت الغـارات الألمانية على لندن. وفي نوفمبر عـام ١٩٤٠م (شوال ١٣٥٩ هـ) جاء إلى زنجبـار ودار السلام وجميع المستعمرات الإنجليزية في شرق أفريقيـا قنصل فرنسا في نيروبي وأمر بإنزال العلم الفرنسي حيث وجد في هذه البقاع !

ولكن الموازيـن بدأت تميل لصـالح بـريطانيا والحلفـاء بعد فترة قصيرة. وقد انعكس ذلك على الوضع في شرق أفريقيا ؛ فقد استطاعت بريطانيا أن تستـولي على جميع مستعمـرات إيطاليـا في شرق أفـريقيا في سنـة ١٩٤١م، وأهمها الصومـال والحبشة. وقد تولى الإمبراطور هيلاسـلاسي زمام الحكم في الحبشة في ذلك الوقت.

وقد طلبت الحكومـة البريطانية في هذه الأثناء من رعايـا حكومة زنجبار وشرق أفريقيا معونة مالية تقدرعلى حسب طاقة كل فرد.

ويتحدث المؤلف عن دخول اليابان الحرب في صف دول المحور وكيف أحدث ذلك قلقا بالغًا في شرق أفريقيا والهند لما يمثله دخول اليابان الحرب من تهديد للصلات التجارية القديمة بين شرق أفريقيا والهند حيث تعد اليابان عقبة كئودا في طرق المواصلات بين هاتين الجهتين .

وقد انعكس تأثير الحرب العالمية الثانية على الأسعار في زنجبار وشرق أفريقيا، فارتفعت ارتفاعاً هائلاً وخصوصا أسعار المأكولات والأقمشة . وترتب على ذلك أنْ أصدرت الحكومة منشورا في المحرم سنة ١٣٦١هـ (يناير١٩٤٢م) تلزم فيه جميع الأهالي ممن تقع أعمارهم بين ١٨و٤٥ سنة بالزراعة؛ ومن لاينفذ ذلك يحبس مدة ثلاثة أشهر. وقد أشار الشيخ سعيد المغيري (مؤلف الكتاب) على الحكومة أن تأمر الأهالي بالزراعة خوفا من انقطاع المواصلات بين الهند وشرق أفريقيا .

وقد اتخذت بريطانيا من «ممباسة» قاعدة عسكريه في سنة ١٩٤٢م ونزلت فيها قوات من الجيش البريطاني وأصبحت خاضعة للأحكام العسكرية .

وتجدر الإشارة إلى أن جزيرة زنجبار أثناء الحرب الثانية أخذت أُهْبتها لصد الغارات الجوية المحتملة عليها من قوات دول المحور ؛ فنصبت الحكومة في أماكن مختلفة من الجزيرة مدافع مضادة للطائرات، وأعلنت في أبريل سنة ١٩٤٢م أنها تطلب جنودا متطوعين تتراوح أعمارها بين١٨ و٤٥سنة لتوجيههم إلى جبهات القتال.

ويتحدث المؤلف - فيما يشبه أسلوب اليوميات - عن تطورات الحرب العالمية الثانية إلى أن يصل إلى نقطة التحول الخطيرة حينما استولى الحلفاء في ٥ يونيو سنة ١٩٤٤م على روما عاصمة إيطاليا وماارتبط بذلك من إنزال مائة ألف من قواتهم من جنود المظلات على السواحل الفرنسية . وقد اتجه مسار الحرب بعد ذلك لصالح الحلفاء تماما ، فاحتلت قواتهم باريس في ٢٤أغسطس سنة ١٩٤٤م، وتم القبض على الزعيم الإيطالي موسوليني في ٢٧ أبريل سنة ١٩٤٥م وحكم عليه بالإعدام وأعلن موت هتلر في ٣ مايو سنة ١٩٤٥م وهو نفس التاريخ الذي استولى فيه الحلفاء على برلين عاصمة ألمانيا.

ثــم أعلنت قيـادة الحلفـاء انتهاء الحرب مـع اليـابان في الشرق الأقصـى واستسلام اليابـان نهائيا ، بدون قيد أو شرط ، في أغسطـس سنة ١٩٤٥م (رمضان ١٣٦٤هـ) وبهذا التاريخ وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها.

وقد كـان لهزيمة دول المحـور صدى عظيم مـن الفرح والبهجـة في كل البلاد المرتبطة بالحلفاء . ولاشك أن سقوط برلين على يد الحلفاء في ٣مايو سنة ١٩٤٥م كان لـه تأثيره الخاص ، فقد كانـت برلين عاصمة الـدكتاتور هتلر . وقـد شاركت شرق أفريقيـا في مظاهر السرور والغبطة التـي عمت أرجاء البلاد الموالية للحلفاء . ويتحدث المؤلف عن هذه المظاهر في الجزيرة الخضراء التي كان يقيم فيها .

ـ ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق :

في ثنايا حـديث المؤلف عن تطـورات الحرب العالمية الثانيـة يتناول ثورة عراقية مشهورة كانت لها صلـة بهذه الحرب وهي ثورة رشيد عالي الكيلاني رئيس وزراء العراق . وسبب هذه الثورة أن بـريطانيا أرادت أن تجعل من العراق مسرحا لعمليـاتها الحربية ، ولكن الكيلاني رفـض ذلك على أساس أن المعاهدة بين بـريطانيا والعراق تبيح لبريطانيـا المرور في الأراضي العراقية لإبقاء قـواتهم فيها . وقـد تكتل الشعب العـراقي وراء زعيمـه الكيلاني ، ولكنَ المواجهة البريطانية العراقية انتهـت باحتلال بريطانيا للعراق وبهروب أعضاء وزارته والأمير شريف الذي كـان وصيا على العرش بدلا من الأمير عبـد الإلـه . وقد لجأ هـؤلاء إلى بـرلين حيـث قـوبلـوا بكل حفـاوة مـن السلطـات الألمانيـة، وكـان معهم السيـد أمين الحسينـي الـذي اشترك مـع الكيـلاني في هـذه الثـورة . أمـا الأمير عبد الإلـه ونـوري السعيـد وجميـل المدفعي وغيرهـم فقد التجأوا إلى البصرة وانضموا إلى حليفتهم بريطانيا .

بعد أن أخمدت بـريطانيا هذه الثـورة أعادت الأمير عبد الإلـه وصيا على العرش، وألفت وزارة تحت رئاسة جمـيل المدفعي، واستتب الأمر لبريطانيا في العـراق.

وقد أقام رشيد الكيلاني في ألمانيـا حتى وضعت الحرب أوزارها وانتهت

بهزيمة دول المحور ، فتمكن من الهرب إلى المملكة العربية السعودية حيث أعطاه الملك عبد العزيز حق اللجوء السياسي وأكرم نزله.

وأما السيد أمين الحسيني فقد لجأ إلى مصر حيث لقي من الملك فاروق كل ترحيب ورعاية .

ـ افتتاح الدورة السابعة عشرة للمجلس التشريعي في زنجبار ومشاركة المرأة العربية فيه :

يشير المؤلف – في خلال حديثه عن الحرب العالمية الثانية وانعكاساتها على شرق أفريقيا – إلى حدث محلي يبدو محدود الأثر ولكنه يمثل تطورا اجتماعيا خطيرا في زنجبار ؛ ففي الثامن من ديسمبر سنة١٩٤٢م افتتح السلطان خليفة بن حارب الدورة السابعة عشرة للمجلس التشريعي ، وقد شاركت النساءُ الرجالَ لأول مرة في هذا المجلس ؛ فقد حضرت الافتتاح سبع عشرة امرأة عربية . ولا شك أن هذا يمثل- في رأي المؤلف – ثمرة من ثمار العلم العصري .

ـ علاقة عرب عمان وزنجبار بجزر القمر :

يلفت المؤلف نظر القارىء إلى أن علاقة العرب بجزر القمر (في المحيط الهندي) علاقة تاريخية قديمة . وهو يذكر – نقلا عن المسعودي – أن جزيرتي «قمبالو» و«أنجوان » من جزر القمر فتحتا على يد الأزد الإباضية في عام ٢٨٤هـ، وقد كان لذلك أثره في انتشار الإسلام في هذه الجزر. وأكبر هذه الجزر هي القمر الكبري Grande Comore التي تعرف أيضا باسم «أنجزيجة» . وسكانها مزيج من العرب والجاويين والشيرازيين والأفريقيين. وفي عام ١٨٩٩ م هاجر من جزر القمر إلى زنجبار خمسة عشر ألفا . وقد قاموا بدور بارز في التدريس ونشر العلوم العربية والإسلامية. كما انخرط القمريون في سلك الجندية بزنجبار وخدموا الدولة البوسعيدية بجد وإخلاص.

ـ ولاية عبد الله بن خليفة بن حارب وظهور الفتن في أوائل عهده :

تولى السيد عبد الله بن خليفة بن حارب عرش زنجبار في ١٧ أكتوبر سنة ١٩٦٠م . وكان السلطان خليفة بن حارب قد أصدر مرسوما ملكيا في مايو سنة ١٩٢٩م بتعيين الأمير عبد الله بن خليفة وليا للعهد . وقد حدث في أوائل عهد عبد الله بن خليفة (سنة ١٩٦١ م) أن دخلت زنجبار في عهد جديد من الفوضى والفتن وسفك الدماء . فقد ظهر حزب يُسمى حزب «أفروشيرازي» قام بقتل العديد من العرب العمانيين والحضارم في زنجبار ، دون تمييز في جرائمه بين الرجال والشيوخ والنساء والأطفال .

ـ المقارنة بين العصر القديم والجديد في شرق أفريقيا :

يتحدث المؤلف في آخر فصول الباب الرابع والأخير من كتابه عن تطور العادات الاجتماعية في شرق أفريقيا منذ فترة شبابه المبكر إلى شيخوخته . فهو يعني بالعصر القديم إذن مطلع شبابه . وقد وصل المؤلف من عمان إلى شرق أفريقيا في سنة ١٣٢٣هـ (١٩٠٥م) ، ثم هو يعقد هذه المقارنة في سنة ١٣٧٥هـ (١٩٥٥م) كما ذكر في كتابه .

يشبّه المؤلف شرق أفريقيا إبان قوة النفوذ العربي في القديم ببغداد في عصر هارون الرشيد والبرامكة. وهو يرى أن عادات الأجناس المختلفة في شرق أفريقيا كانت أكثر وضوحا وتميزا في العهد القديم . فلم يكن المرء ليجد صعوبة في التعرف على كل جنس من هيئة أبنائه وسِمَتهم . أما العصر الجديد فقد اختلطت فيه الأجناس وعزّ التمييز بينها .

وهناك سمة أخرى كانت واضحة في العهد القديم وهي روح المحافظة؛ أما العصر الجديد فقد ضعفت هذه الروح كثيراً .

ويعرب الشيخ سعيد المغيري عن أسفة البالغ لما شاع بين شباب عصره من تفرنج ، ولما انتشر بينهم من مسكرات ، ولما تفشى فيهم من عادات أوروبية جعلتهم ينبذون عاداتهم العربية. وهو يقول في ذلك - والأسى يملأ جوانحه- « وأدب العرب وطباعهم وعاداتهم تشهد لها تواريخ

الأجانب . وهل من فخر وشرف فوق شرف العرب الذين خصهم الله برسوله سيد الأولين والآخرين ؟!»[١] ومما يزيده أسفًا على أسف تفشى عادة التدخين الذميمة بين مختلف طبقات الشعب حيث وصلت نسبة المدخنين بينهم إلى تسعين في المائة ، ما بين رجال ونساء وصبيان .

وبهذه الملاحظة اللاذعة ينهي المؤلف كتابه !

ثانيا : القيمة العلمية لكتاب « جهينة الأخبار »

لا شك أن كتاب « جهينة الأخبار » يمثل قيمة علمية ملحوظة في المجال الذي كُتب فيه لعدة اعتبارات :

١- فهو -أولا- يسدّ فراغا حقيقيا في المكتبة العربية التي مازالت تفتقر إلى المزيد من أمثال هذه الدراسات . صحيح أن المكتبة العربية لا تخلو من الكتب التي تتناول تاريخ شرق أفريقيا في مختلف العصور ، وخصوصا في العصر الحديث ؛ ولكنها تعاني -بكل تأكيد - من نقص كبير في الكتب التي تتناول علاقة العرب العمانيين بشرق أفريقيا بهذا القدر من الاتساع والتفصيل .

٢- والكتاب -ثانيا - يعبرّ عن وجهة النظر العربية في عرضه لتاريخ العرب بشرق أفريقيا . فقد أسَهبت المراجع الأجنبية في عرض تاريخ شرق أفريقيا ، ولكنها تناولت دور العرب هناك بصورة هي أبعد ما تكون عن الموضوعية والإنصاف ؛ ذلك أنها حاولت أن تبرز سلبيات هذا الدور ، وخصوصا فيما يتصل بتجارة الرقيق متجاهلة كافة الزوايا والأبعاد المعقدة لهذه المشكلة التي لم تكن من صنع العرب كما أن هذه المراجع تجاهلت -فوق ذلك - ما كان للعرب من تأثير حضاري هائل على سكان شرق أفريقيا . وقد جاء المؤلف ليضع النقاط على الحروف فيما يتعلق بدور العرب - والعرب العمانيين بصفة أخص - في الاكتشافات الجغرافية في مجاهل أفريقيا ، وهي التي مهدت للاكتشافات الأوروبية الحديثة ؛ وعلى

---

(١) جهينة الأخبار ، ص ٥٤٨ .

دَوْرهـمْ في إنشـاء المدن وبناء المراكـز العلميـة وازدهـار التجارة والـزراعـة والأرتقاء بالمستـوى الإنساني لسكان شرق أفريقيا . ومـن أجل ذلك يعتبر الكتاب مصدرا أصيلا في إبراز الدور الحضاري للعرب في شرق أفريقيا .

٣- والكتاب - ثـالثا - يستخدم الأسلـوب التاريخي الصحيـح باعتماده على الوثائق فيما يعرضه من أحداث وقضايـا ؛ فقد جاء حافلا بالمراسلات والمعاهدت وخطـابات التولية والافتتـاح وما إلى ذلك مما يُعَـدُّ أداة لا غنى عنها للمتصـدي لكتابة التـاريخ على أصوله المقـررة . وقدكان هـذا المنهج واضحا بصفة خاصة في عرض المؤلف لفترة حكم البوسعيديين . فمن بين هذه الوثـائق مثلا مجموعة مهمـة من الرسائل مـوجهة من السيد سعيـد بن سلطان إلى أهالي ممباسـة تشير كلها إلى ما كان يتمتع به أكابـر أهالي ممباسة وزعماؤهم من معاملة كريمة على يد السيد سعيد بن سلطان[1] .

ومنهـا أيضاً وثيقـة جاءت في صـورة مكاتبـة بين أحد المخـاديم (وهـم السكان الأصليون لشرق أفـريقيا المعروفون باسـم السواحيليين) وبين أحد العرب . ويصف المؤلف هذه الوثيقة بقوله : «وجدناها وتكاد من البلى أن تتمزق» وهـي تفيد سماح أحـد العرب لأحد المخـاديم وأولاده بـاستخدام مزرعـة هذا العربي وسكناهـم فيها دون أن يكون لهم فيها «ملـك ولا حق ولا دعـوى» وقد جـرت هذه المكـاتبة في عهـد السيد سعيـد بن سلطـان، ويستنتج منهـا المؤلف أنـه «لو لم يكن للمخـاديم يـومئذ صـوت يسمع إذا التجأوا للشرع أو أنهم غير مزاحمين للعرب لما حاذر هذا العربي منهم حتى أخذ منهم ذلك الصك»[2] . وتبرز أيضا في هذا السياق تلك المعاهدة التي وقعتها الدولة البريطـانية في عام ١٨٧٣م مع السيد برغـش بن سعيد بشأن إبطال تجارة الـرقيق في جميع أنحـاء بلاده[3] . ومن الـوثائق المهمة كـذلك رسالـة السيد خليفـة بن حارب إلى ملـك بريطانيـا بمناسبـة اندلاع الحرب العالمية الثانية ، وهي التي يعرب فيها عن تأييد بلاده التام لبريطانيا في هذه

(١) انظر جهينة الأخبار، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٤.

(٢) جهينة الأخبار ، ص ٢٨٣ .

(٣) انظر نص المعاهدة في ص ٣٥٦ – ٣٥٧ من نفس المصدر .

الحرب ، ثم رد ملك بريطانيا عليها[١] ويطول بنا القول لو أردنا أن نستعرض أهم الوثائق التي اشتمل عليها كتاب «جهينة الأخبار» ولهذا نكتفي بهذا القدر إبرازاً لهذا الجانب الأساسي في منهج المؤلف .

٤- ولا شك أن من بين الاعتبارات التي تزيد من القيمة العلمية للكتاب أن المؤلف زار معظم الأماكن التي تناولها بالحديث في كتابه وقابل الكثير من أعيان هذه البلاد وسجل رواياتهم وملاحظاتهم . فهو حين يتحدث عن « تانغة» مثلا يقول : «وقد قص عليّ الشيخ على بن حميد البحري الهنائي ، المستوطن هو وآباؤه وأجداده في تانغة منذ قديم الزمان عن أخبار تانغة ومتعلقاتها وعن أهلها الأقدمين والمتأخرين وعن أيام العرب وأخبارهم في زمن السادة آل بو سعيد والمزاريع . . إلخ»[٢] وهو حين يتحدث عن بلدة «مليندي» يقول : «وأخبرني رجل طعن في السن من أهلها لما زرتها سنة ١٣٦٣هـ أن سبعين محملا قد اجتمعت في مينائها وحملت جميعها حبوبا للخارج لكثرة اعتناء الناس بالزراعة وبركتها في ذلك الزمن»[٣] ثم هو يتحدث عن اكتشافات العرب في الكونغو فيقول : «حدثني بعض العرب المسنين الذين عاصروا العرب المكتشفين لقارة البر الأفريقي ، فأحببت أن أثبته هنا لكونه حديثا عجيبا جدا»[٤] ثم يسرد تفاصيل ما سمعه حول التجارب المثيرة التي مر بها العرب أثناء محاولتهم استكشاف الكونغو . وإن المرء ليستطيع أن يتبين هذا المنهج في مواطن عديدة من كتابه .

أما روايات المؤلف عن الجزيرة الخضراء «بمبا » فهي في معظمها روايات شاهد عيان عاصر الأحداث بنفسه ، بل وشارك في صنع الكثير منها . ومن هنا يأتي حديثه عن هذه البقعة من شرق أفريقيا مصدراً لا غنى عنه لكل من يتصدى لتناول تاريخها من كافة جوانبه السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية .

---

(١) نفس المصدر ، ص ٤٩٧ .
(٢) نفس المصدر ص ١٥٢ .
(٣) نفس المصدر ١٦٦
(٤) نفس المصدر ص ٣١٧

٥- وأخيراً فإن المؤلف لم يكـن مجرد راوية للأخبار أو راصـد للأحداث ولكنـه مارس في كثير مـن الأحيان دور النـاقد والمحلـل والموجه . يتضـح ذلك مثلا في تردده في قبوله بعض الـروايات التي جاءت في كتاب «السلوة في أخبار كلوة» بخصـوص الطريقة التي امتـد بها نفوذ الشيرازيين في القرن الثالث الهجري إلى كلوة، ويرى أن بعض هذه الروايات «لا يقبلها القياس المعروض على العقل السليم»[1] كما ينتقد عدم اهتمام الذين اكتشفوا أواسط أفريقيا بتدوين تجاربهم ومشاهداتهم، وهو يذكر في هذا السياق أنه «لو دوّن العرب كل مـا شاهدوه ووقفوا عليه ومـا نالوه في حال اكتشـافهم لأواسط أفريقية لكنا اليـوم ندرسه ونقصه على أولادنا ونعلمهم إيـاه ونتجمل به في المجلس ونزداد بـه دراية وعقلا وبصيرة في جميع أمورنا، لأن الهمـة العالية التي بذلها العرب لجديـرة حقا أن تكتب مأثرها وأخبـارها بماء الذهب على صفحات اللجين»[2] هو يعبر عـن شديـد أسفه أيضـا لأن العرب في شرق أفريقيـا لم يهتموا الاهتمام الكـافي بنشر الإسلام في هـذه البقعة منـذ رسوخ أقدامهـم فيها ، ويذكـر أن العرب لو فعلـوا ذلك « لكان البر متنـورا بنور الإسلام»[3] ولأصبـح الأفـارقـة كلهـم في ذلـك الصقـع مسلمين ولفشـل المبشرون في التنصير كما ينتقد المؤلف بشدة مظاهر الأبهة والترف التي أحاط بها السيد برغش بن سعيد نفسه ، واعتنـاءه «بجميع أسباب الراحة الفانية» ، وما ترتب على ذلك من إجحاف بالرعية في فرض الضرائب ؛ وهو يري أنـه كان أولى ببرغـش بـن سعيد أن يتجـه إلى إنشـاء « إدارة علـوم عربيـة ودينية لتثقيف الناشئة بـالعلوم والصناعات »[4] ؛ فذلـك في رأي المؤلف أبقى للأمة نفعا وأدوم ذكراً له .

فهذه هـي أهم الاعتبـارت التي تفسـح لكتاب «جهينـة الأخبار» مكـانا مرموقا في المكتبة العربية التي تؤرخ للجهد العماني في شرق إفريقيا .

* * *

(١) نفس المصدر ، ص ١٣٤ - ١٣٥ .

(٢) جهينة الأخبار ، ص ٢٤٨ .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

(٤) نفس المصدر ، ص ٣٥٢ .

ولكن هذه الجوانب الإيجابية لا تعفينا من الإشارة إلى بعض السلبيات التي لاحظناها في الكتاب ، ولا يخلو عمل جيد من سلبيات في العادة. ولعل أبرز ما لاحظناه أن المؤلف لم يقصد بكتابه -فيما يبدو- أن يكون عملا نهائيا بل مُسَوّدة يعود عليها بالتنقيح والتهذيب . وهذا واضح من بعض الهنات التي وردت في كتاب المؤلف والتي كان من السهل تفاديها بالمراجعة ، فنحن نلاحظ اضطرابا في عبارة المؤلف في بعض الأحيان ، كما نلاحظ العديد من الأخطاء في المقابلة بين التواريخ الهجرية والميلادية، كما نجد تضاربا في الروايات التاريخية في غير موضع.

فمن أمثلة الاضطراب في عبارة المؤلف قوله في معرض حديثة عن زنجبار في العصور الماضية : «لكن احتارت الأفكار والظنون في أي عاصمة أو عواصم لزنجبار في زمن الأمم القديمة التي تعاقبت في الإقامة والهجرة بزنجبار مثل اليونان والعرب الذين هم قبل خبر وجود الشيرازيين والوثنيين من أصل البر الأفريقي»[١].

فهو هنا - في ضوء السياق - يريد أن يقول أن هذه الأمم القديمة التي تعاقبت على الهجرة إلى زنجبار والإقامة فيها لم يعرف لها على وجه القطع مدينة معينة اتخذتها عاصمة لها هناك . ولكن عبارته لا تحمل هذا المعنى بطريقة محددة.

ومن الأمثلة أيضا ما يقوله في معرض نقده لكتاب (السلوة في أخباركلوة) : «ومما يزيدنا يقينا من تلك الرواية التي روتها السيرة الكلوية عن مهاجرة حسن بن على من شيراز على حسب ما ذكرته هذه السيرة لا يقبلها العقل والقياس المعروض على الدلائل . . . »[٢] ويبدو أن المؤلف يريد أن يقرر هنا أن ما روته السيرة الكلوية فيما يتعلق بهجرة حسن بن على من شيراز إلى كلوة غير صحيح ؛ والذي يقطع بذلك -في رأيه - أن ما جاء في هذه السيرة يرفضه العقل ولا يتسق مع تسلسل الأحداث.

(١) نفس المصدر ، ص ٨٢ .
(٢) نفس المصدر ، ص ١٣٤ .

ومن أمثلة ذلك أيضا قول المؤلف في معرض حديثه عن تدهور أحوال العرب المادية في زنجبار والجزيرة الخضراء بعد تحرير الرقيق : «وهذه التقلبات كانت في دولة السيد حمود بن محمد . وإن ما تدارك من أملاك العرب والإفريقيين بهاتين الجزيرتين عن انتقالها إلى غيرهم هو التفات نظر الحكومة إلى عمل قوانين من منع بيع العرب والإفريقيين أملاكهم في الدين فتعرقلت أسباب المتداينة على المتاجرين»[١]. ويبدو من السياق أن المؤلف يريد أن يقول إن تدهور المستوي الاقتصادي للعرب والأفريقيين في زنجبار والجزيرة الخضراء أدى بهم إلى الاستدانة من التجار والهنود ، وكانوا يتنازلون عن أملاكهم لهؤلاء التجار سداداً للدين، ولكن الحكومة سنت قانونا بمنع ذلك فأنقذت بذلك أملاك العرب والأفريقيين . والعبارة كما يبدو (وخاصة في جزئها الأخير) لا تؤدي هذا المعنى بوضوح . وهذه مجرد أمثلة لما يشوب عبارة المؤلف من الاضطراب في عدد من المواضع .

أما الأخطاء في المقابلة بين التواريخ الهجرية والميلادية فهي عديدة ، ونكتفي منها هنا ببعض الأمثلة : فيذكر المؤلف عند حديثه عن كلوة أنها وصلت ذروة الازدهار في القرن الثامن للهجرة والحادي عشر للميلاد[٢] ٩٢٠ ولكن المعروف أن القرن الثامن للهجرة يقابل القرن الرابع عشر للميلاد .

وعند حديثه عن دولة السيد سعيد بن سلطان يذكر أنه «تولى المملكة في شهر شعبان سنة ١٢١٩هـ الموافقة لسنة ١٧٩١م»[٣] ولكن الصحيح أن سنة ١٢١٩هـ توافقها سنة ١٨٠٤م .

ويتحدث عن الصلح بين ثويني بن سعيد وأخيه ماجد بن سعيد فيذكر أنه تم في سنة ١٨٦٧م الموافقة لسنة ١٢٧٤هـ[٤] والصحيح أن سنة ١٢٧٤هـ التي عقد فيها الصلح توافق سنة ١٨٥٧م .

---

(١) جهينة الاخبار ، ص ٥٣٩ .
(٢) نفس المصدر ، ص ١٣٧ .
(٣) نفس المصدر ، ص ٢٣٣ .
(٤) نفس المصدر ، ص ٢٨٧ .

ويتحدث عن الحرب العالمية الأولى فيذكر أنها اندلعت في سنة ١٩١٤م الموافقة لسنة ١٣٥٢هـ ولكن التاريخ الهجري الصحيح لاندلاع الحرب هو ١٣٣٢هـ .

ولايتسع المقام هنا لتقصي كل الأمثلة لأخطاء المقابلات التاريخية ، فلعل الأمثلة التي أوردناها كافية لتوضيح مدى الحاجة إلى مراجعة تواريخ الكتاب شاملة.

أما التضارب في الروايات التاريخية فمن أمثلته ما أورده المؤلف بخصوص الوقت الذي كتبت فيه السيرة الكلوية ؛ فقد ذكر في موضع أنها كتبت في القرن العاشر الهجري حيث ولد مؤلفها سنة ٩٠٤هـ[١] ولكنه ذكر في موضع آخر أنها كتبت في القرن التاسع الهجري[٢] .

ومن الأمثلة كذلك ما ذكره المؤلف حول وفاة السيد علي بن سعيد بن سلطان ؛ فقد ذكر مرة أنه توفي في ١٦شعبان سنة ١٣١٠هـ[٣] ولكنه عاد فذكر بعد ذلك أن الذي خَلَفَ عليّ بن سعيد على عرش زنجبار هو السيد حمد بن ثويني بن سعيد الذي تقلد زمام الحكم في ١٤شعبان سنة ١٣١٠هـ[٤] فهل تولى حمد بن ثويني مقاليد السلطة قبل وفاة سلفه ؟ لايشير المؤلف إلى ذلك .

ويذكر المؤلف في نفس السياق أن حمد بن ثويني بن سعيد توفي في ١٤ ربيع الأول سنة ١٣١٤هـ[٥] ، ولكنه يذكر في موضع آخر أنه توفي في ١٥ ربيع الأول سنة ١٣١٣[٦] .

مثل هذه الملاحظات تؤكد ما سبق أن طرحناه من أن الكتاب بصورته الحالية كان في تقدير المؤلف بحاجة إلى مزيد من المراجعة والتنقيح قبل أن يأخذ شكله النهائي ، ولكن لم يُقَدَّر للمؤلف أن يقوم بهذه المهمة في حياته، فظهر الكتاب بعد وفاته بالشكل الذي نراه عليه الآن حيث توجد

---

(١) نفس المصدر ، ص ١٣٢ .
(٢) نفس المصدر ، ص ١٣٦ .
(٣) نفس المصدر ، ص ٣٧٣ .
(٤) جهينة الأخبار ، ص ٣٧٥ .
(٥) نفس المصدر والصفحة .
(٦) نفس المصدر ، ص ٣٨٠ .

فيه بعض الهنات التي يمكن التغلب على آثارها ببذل مزيد من الجهد في التحقيق . وهذا ما نود أن نشير إليه الآن .

ثالثا : ملاحظات على تحقيق الكتاب

لابد من التنويه هنا بالطبعة الأنيقة المحققة لكتاب «جهينة الأخبار» . ومع تقديرنا لمدى الجهد الذي بُذل في التحقيق فإن القيمة العلمية المتميزة للكتاب تجعلنا نقترح أن توضع الملاحظات التالية في الاعتبار عند إعداد الطبعة القادمة .

١- تصويب ماجاء في الكتاب من أخطاء تاريخية (إما بإجراء ذلك في الهامش أو المتن مع ضرورة الإشارة في الهامش إلى أصل العبارة قبل التعديل) فمثلا يذكر الكتاب أن العصور الوسطى تبدأ بظهور الإسلام في سنة ٦٣٧م وتنتهي بسقوط القسطنطينية في سنة ١٤٥٣م[١] . ولكن المعروف أن بعثة الرسول ﷺ كانت في سنة ٦١٠م ، فهذا هو تاريخ ظهور الإسلام ؛ وكانت هجرته في سنة ٦٢٢م ووفاته في سنة ٦٣٢م وكل هذه التواريخ سابقة للتاريخ الذي طرحه المؤلف وهو ٦٣٧م ويذكر أيضاً أن بريطانيا احتلت مصر سنة ١٨٩٧م[٢] ، مع أن التاريخ الصحيح هو ١٨٨٢م ومما يذكره كذلك أن الملكة إليزابيث الثانية (الملكة الحالية لبريطانيا) تولت العرش سنة ١٩٥٣م بعد وفاة أبيها الملك جورج السادس[٣] مع أن التاريخ الصحيح هو ١٩٥٢م . . . إلى غير ذلك من الأخطاء . ولا ينبغي بحال أن تمر هذه الأخطاء دون الإشارة إليها وتصويبها .

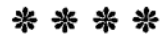
٢- إجراء مراجعة شاملة للمقابلات الواردة في الكتاب بين التواريخ الهجرية والميلادية للتأكد من صحتها نظرا لتكرار الأخطاء فيها . وقد أشرنا إلى بعض ذلك فيما مضى .

---

(١) نفس المصدر ، ص ٣٨٠ .
(٢) نفس المصدر ، ص ٥٩ .
(٣) نفس المصدر ، ص ٤١٨ .

٣- تمحيص الروايات التاريخية المتعارضة للتحقق من الرواية الصحيحة، وإثبات ذلك في هامش الكتاب ، وذلك حتى لا تختلط الأمور على القارىء نتيجة عدم وجود ما يعينه على تمييز الصواب من الخطأ . وقد وقفنا على بعض الأمثلة لهذا التعارض فيما تقدم .

٤- محاولة كشف ما يحيط ببعض عبارات المؤلف من غموض وذلك عن طريق التحليل اللغوي للنص الغامض وإلقاء الضوء على ملابساته التاريخية حتى يسهل على القارىء إدراك فكرته الأساسية .



وأخيرا فإن هذه الملاحظات لاتهدف إلا إلى شيء واحد وهو أن يصل هذا الكتاب إلى قرائه في شكل يتناسب مع أهميته باعتباره كتابا يسد في بابه فراغا أكيدا في المكتبة العربية .

* * * *

أولاً : فهرس الأعلام

(أ)

(ت)

(خ)

(د)

(ش)

(ص)

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(هـ)

* * *

ثانياً: فهرس الأماكن والبلدان

(أ)

(ب)

(د)

(ر)

(ز)

(ش)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(ي)

* * *

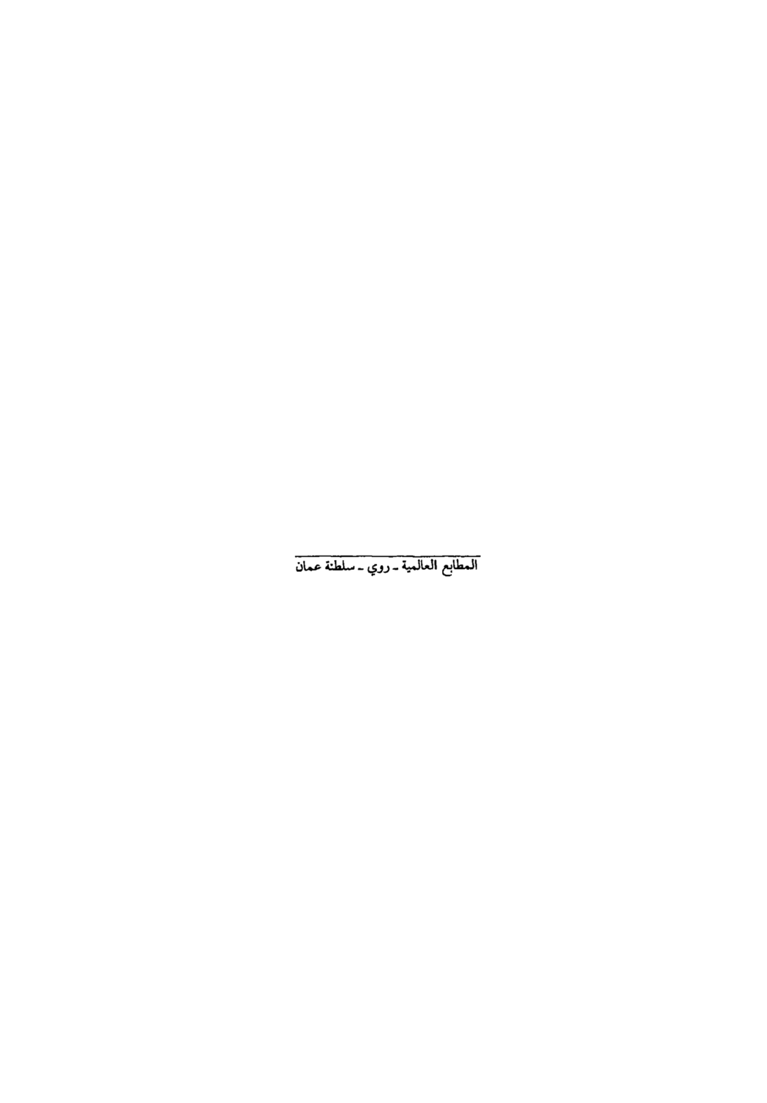
ثالثاً : فهرس الأمم والقبائل والمذاهب والجماعات

* * *

فهرس كتاب جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار

الموضـــــــــوع	الصفحة

الموضـــــوع | الصفحة



المطابع العالمية ـ روي ـ سلطنة عمان

هذه الموسوعة

تميز تراث الثقافة الإسلامية العربية في عُمان بنهم واضح الى معرفة تعلماً وتعليماً، وتمثل ذلك منذ العقود الأولى للإسلام في سعي أهل عُمان في شوق نحو منابع العلم البعيدة يرتوون منها، وإستقبال الناس في ظمأ «لحملة العلم» يتعلمون منهم ويدونون عنهم.

ثم انتشرت حركة التأليف بين العلماء العمانيين في مختلف فروع التصنيف كالفقه والتفسير والحديث والتاريخ وعلوم اللغة والفلك والطب، وتركوا في هذه المجالات جميعاً إسهامات قيمة في آلاف المخطوطات، طبعت عدة مئات منها بداية عهد النهضة في السبعينات، وتميز كثير منها بكبر الحجم وغزارة المعرفة.

وسعياً لتقريب مضامين هذه الكتب القيمة إلى القارىء المعاصر، يعكف فريق من صفوة المتخصصين في الجامعات العربية على إعادة قراءتها وتقديم خلاصة فحواها للقارىء المعاصر، بأسلوب يتلاءم وثقافة العصر الحديث ويحرص على نقل جوهر الفكر التراثي وصقله وجلائه ويغري بالعودة إليه،وهذا الجهد تنتظمه «الموسوعة الميسرة للتراث العماني» في عدة أجزاء من بينها هذا الكتاب.

○ ○ ○ ○ ○

الطبعة الأولى

١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م

المطابع العالمية - روي - سلطنة عمان